لطائف ومعارف القرآن الكريم
بين سؤال وجواب

الجزء السادس

الشيخ
علي الإبراهيمي



لطائف ومعارف
القرآن الكريم



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

مراكز التوزيع	
مكتبة الأمين العراق - كربلاء المقدسة هاتف ٣٣٥٢٦٢ / ٣٢٨٦١١	**مكتبة الأمين** إيران - قم - ص.ب: ٤٣٥٩ هاتف: ٧٧٤٢٥٩٩
مكتبة هيئة الأمين ﷺ الكويت - بنيد القار حسينية أحمد عاشور هاتف / ٢٥٤٤٢٠٢ - فاكس / ٢٥٢٩٦٤٠	**دار الأمين** لبنان - بيروت حارة حريك مقابل البنك الفرنسي قرب مستودع دار العلوم



لطائف ومعارف القرآن الكريم
بين سؤال وجواب

لطائف ومعارف القرآن الكريم

من سورة الجمعة إلى سورة التحريم

الجزء: ٢٨ من القرآن الكريم

الجزء السادس

الشيخ

علي الإبراهيمي



هيئة محمد الأمين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى أهل بيته الطاهرين المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[(١)].

فعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن:

«يا معاذ! علمهم كتاب الله، وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة، وأوصيك بتقوى الله والفقه في القرآن»[(٢)].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لايضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان في عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا

(١) سورة الإسراء: ٩.

(٢) تحف العقول: ص٢٥.

لأحدٍ قبل القرآن من غنى..»[١].

لقد تم بفضل الله (سبحانه وتعالى) ومنّهِ إنجاز الجزء الثامن والعشرين من تفسير القرآن الكريم بأسلوب السؤال والجواب، في مدة تجاوزت السنة، وبما أن هذا العمل المبارك كان يتطلب مني جهداً كبيراً ووقتاً واسعاً، فلذا بدأت متوكلاً على الله عزوجل ومتوسلاً بأحب خلقه محمد وآله الطاهرين عليهم السلام، وكنت أرى بأن هذا الإنجاز لا يمكن إتمامه إلا من خلال عقد معاهدة مع الله (سبحانه وتعالى)، فلهذا تعاهدت معه (جل وعلا) بأن آتي بذكر الصلاة على النبي وآله الطاهرين يومياً مئة مرة، وأن أبعث ثواب هذا الذكر العظيم لروح أم البنين أم العباس وإخوته عليهم السلام، وهي فاطمة بنت حزام الكلابية، تزوجها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام، هذه المرأة العظيمة كانت تؤثر وتُقَدّم الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام على أولادها في كلٍ صغيرة وكبيرة، وإنها طلبت من الإمام عليه السلام أن يغير اسمها، لأنها كانت ترى تألّم الحسنين عليهما السلام حيث يتذكران أمهما فاطمة الزهراء عليها السلام، لهذا سماها الإمام علي عليه السلام بأم البنين، وإن أولادها استشهدوا في كربلاء بين يدي الإمام الحسين عليه السلام وما كانت تسأل عن مصيرهم بل كانت تسأل عن الحسين عليه السلام أهو حي أم لا؟.

وبالفعل فقد وفقني الله سبحانه وتعالى في إتيان هذا الذكر كما هو ينبغي من دون خلل أو نقص، ومن جانب آخر وفقت في كتابة هذا البحث بالرغم من كثرة الصعوبات التي كنت أواجهها، أسأل الله سبحانه وتعالى بجاه محمد وآله الطاهرين عليهم السلام أن يتقبل مني هذا العمل وأن ينفعني به وسائر المؤمنين يوم

---

(١) نهج البلاغة: خ١٧٦.

الجزاء الأكبر ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ❖ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[(١)].

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين ورحمة الله وبركاته..

الشيخ علي الإبراهيمي

١/ ٦/ ٢٠٠٦ ميلادية

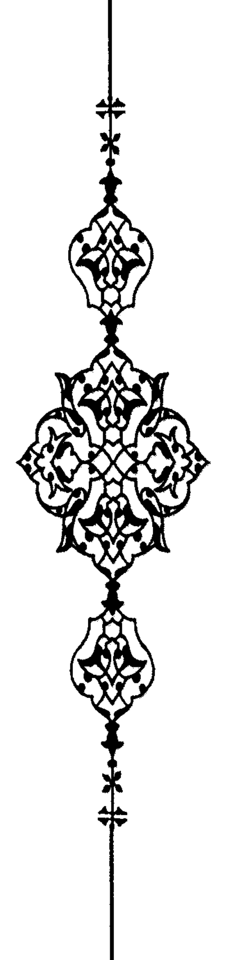
٤/ جمادى الأول/ ١٤٢٧هجرية

دمشق - بجوار السيدة زينب الكبرى

(عليها وعلى آبائها أفضل الصلاة والسلام)

(١) سورة الشعراء: ٨٨ -٨٩.





سورة الجمعة

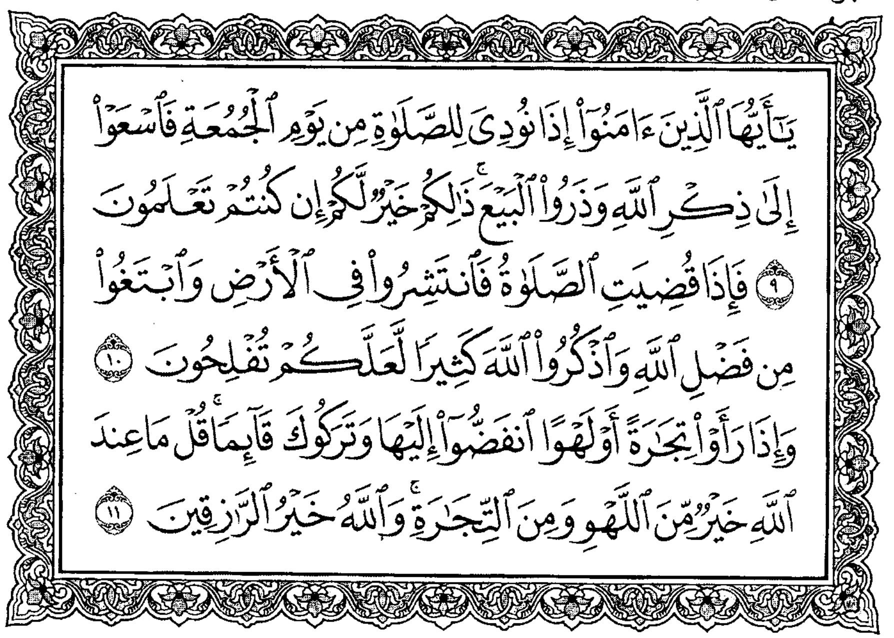




سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟
مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ
إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾


يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

فضل السورة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدمن قراءتها كان له أجرٌ عظيم، وأمن مما يخاف ويحذر، وصُرف عنه كلّ محذور»[1].

مفردات السورة:

التسبيح: تنزيه الشيء وتطهيره من العيوب والنواقص.

الملك: الاختصاص بالحكم في نظام المجتمع.

القدوس: مبالغة في القدس وهي النزاهة والطهارة.

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٠٩

العزيز: الذي لا يغلبه غالب.

الحكيم: المتقن فعله أو الذي يضع الشّيء في موضعِهِ.

الأميين: الأميون جمع أمي وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب، وقيل هو المنسوب إلى مكة المكرمة وهي أم القُرى.

أسفاراً: كُتباً، وسمي الكتاب بالسِّفر لأنه يكشف عن المعاني والحقائق الغامضة بإظهارها، وسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته والمرأة السافرة هي الكاشفة لبدنها لنظر العموم.

الجمعة: مأخوذة من الاجتماع، وسمي يوم الجمعة بهذا الاسم وذلك لاجتماع الناس فيه.

السعي: المشي السريع.

موضوع السورة:

تبدأ السورة المباركة بالحديث عن تسبيح كافة المخلوقات لله سبحانه وتعالى ثم تذكر الهدف من بعثة النبي الأعظم محمد ﷺ، بعدها تحذر المؤمنين من مغبة الوقوع في الانحراف الذي وقع فيه اليهود، حيث إنهم تعلموا وعلموا ما في التوراة ولكنهم لم يعملوا بما علموا، فصار مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل كُتباً ولكنه لا يعرف شيئاً من المعارف الموجودة فيها، ثم تشير السورة المباركة إلى قانون الموت الذي يشمل الجميع وذلك للانتقال إلى عالم البقاء والخلود إما إلى روضة من رياض الجنة أو إلى حفرة من حفر النيران، وأخيراً تدعو السورة المباركة إلى أداء فريضة صلاة الجمعة، وحث المؤمنين على المشاركة فيها وذلك بتعطيل العمل والكسب.

الأسئلة والأجوبة:

۞ قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.

(س) ما وجه ارتباط الآية المباركة بالسورة التي قبلها؟

(ج) ١ ـ قال تعالى في أول السورة السابقة ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ بلفظ الماضي، وإنه لا يدل حسب الظاهر على التسبيح في الحاضر والمستقبل، فقال في أول هذه السورة بلفظ فعل المضارع ليدل على التسبيح في زماني الحاضر والمستقبل.

٢ ـ وأما وجه تعلق أول هذه السورة بآخر السورة السابقة، فهو أنه تعالى ذكر في آخر السورة السابقة، بأنه أيّد أهل الإيمان على أعدائهم الكفار حتى صاروا عالين عليهم، وذلك وفق الحكمة وكذلك وفق السنّة الإلهية في إنزال النصر كما قال (سبحانه وتعالى): ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، فابتداؤه في هذه السورة بكلمة التنزيه أو التسبيح للإشارة بأنَّهُ غنيٌّ على الإطلاق، ومنزه عما يخطر ببال الجهلة من احتياجه للعباد سواء انتصروا وأطاعوا أو لم يطيعوا[1].

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) ١ ـ في قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾ توطئة وتمهيد برهاني لما يتضمنه قوله في الآية اللاحقة، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ...﴾ من بعثة النبي ﷺ، لأجل هداية الناس

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢ (مع تصرف).

وإسعادهم بعد أن كانوا في ضلال مبين[١].

٢ ـ قوله (سبحانه وتعالى) ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾ حقيقة يضعها القرآن الكريم بين يدي الإنسان، ويدعوه إليها، فيا ترى هل هو كسائر المخلوقات في الكون خاضع ومطيعٌ لله (سبحانه وتعالى) أم أنه المتمرد الوحيد؟ ولكن الذي يظهر ومما يؤسف له، أن الإنسان هو المخلوق الوحيد المتكبر على خالقه وراحمه، ولاشك أن هذا الشذوذ يرجع على الإنسان نفسه، إذ سوف يواجه التحديات الصارخة التي ترديه إلى أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً...﴾ طه: ١٢٤.

❁ **قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المُلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الحَكِيمِ﴾**

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة صفة القدوس لله تبارك وتعالى بعد ذكرها لصفة الملك؟

(ج) ١ ـ بما أن الآية المباركة تتحدث عن التسبيح لله عز وجل وأنه الملك المطلق للكون، فله أن يحكم في نظام الكون بما شاء وبنظام التشريع بما أراد وعلى الخلق أن يطيعوه، لهذا جاءت صفة القدوس لكي تشير إلى مسألة وهي أن الله (سبحانه وتعالى) إذا حكم أو شرع ديناً لخلقه، لم يكن ذلك لحاجة إلى عبادة خلقه أو لنقص يريد أن يُتمه، إنه قدوس أي منزه عن كل نقص وعيب، لا يحتاج إلى هذه الأمور التي قد يظن البعض بها[٢].

٢ ـ إن كلمة «القدوس» تنزه الباري «جل وعلا» عن أي نوع من الظلم

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) المصدر.

والنقص في ملكه وحكمه، وذلك لأن الملوك والحكام عادة لا يخلون عن ذلك، ولذا جاءت هذه الكلمة لتنفي عنه ما يقع فيه المخلوق(١).

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة صفة «العزة» لله تبارك وتعالى بعد ذكر صفة القدوس؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أمرٍ وهو عندما يحكم الله (سبحانه وتعالى) ويشرع لخلقه ثم يدعو رسله عليهم السلام لِيُبَلِّغُوا ذلك في الناس، فإذا تمرد البعض عن أوامر الله (سبحانه وتعالى) وعن طاعته، فليس فيه تعجيز منهم له، ولا يصيبه ضرر، وكذلك لا تنفعه طاعتهم فيما لو أطاعوا جميعهم.

(س) لماذا ذُكرت صفة «الحكيم» في آخر الآية؟

(ج) وذلك للإشارة بأن جميع ما يحكم به وما يشرعه لخلقه فهو لصالحهم ونفعهم لدنياهم وأخراهم. وأنه تعالى وضع كل شيء في موضعه دون زيادة أو نقصان أو عدم فائدة.

(س) هل هناك فائدة يحصلها الإنسان من خلال تنزيهه لله تعالى عن النقص والعيب؟

(ج) لاشك عندما ينزه الإنسان رب العزة (سبحانه وتعالى) عن جميع النواقص والعيوب، فإنه عندما يرى عيباً أو نقصاً في نفسه وحياته ينسبه إلى نفسه دون أن ينسبه إلى ربه تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، وبهذه الطريقة سوف يرجو من ربه العظيم أن يكمّله وبأن يسدّ عيوبه ونقصه. إذاً، فهناك علاقة طردية وفائدة

---

(١) تفسير الأمثل (مع تصرف قليل).

كبرى يجدها الإنسان من خلال تنزيهه وتعظيمه لله (سبحانه وتعالى)[1].

(س) هل هناك ترابط وعلاقة بين الصفات التي ذكرتها الآية المباركة وهي ﴿الملِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الحكِيمِ﴾؟

(ج) لاشك هناك علاقة متينة بين الأسماء الحسنى التي جاءت في الآية المباركة، فالملك الحق لابدّ أن يكون نزيهاً وقوياً وحكيماً، لكي يكون مهيمناً على ملكه، وهو الذي عنده جميع الأسماء الحسنى، بينما ملوك الدنيا لا يملكون سوى الألقاب والأسماء الخالية من العمل والتطبيق، وإنهم مملؤون بالنقص من جميع الجوانب[2]، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل تنتنه العرقة وتؤلمه البقة وتقتله الشرقة».

(س) إن لفظة الحكيم في قوله تعالى: ﴿...المَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الحكِيمِ﴾ تطلق على الله عز وجل وعلى غيره كما قيل في لقمان إنه حكيم، فكيف تصح هذه النسبة لله وللإنسان في آن واحدٍ؟

(ج) الحكيم عند أهل التحقيق هو الذي يضع الشّيء في موضعه ثم إن الإنسان يمكن له أن يمتلك شيئاً مما عند الله (سبحانه وتعالى) وذلك بإفاضةٍ منه، فإذا تعلم الحكمة فإنما تعلمها بفضل الله عز وجل ومنه، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللهِ...﴾، كما أنّ الله (سبحانه وتعالى) عزيزٌ ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾ فكذلك المؤمن. قال عز وجل: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) تفسير الميزان: الآية (مع تصرف).

(٢) من هدي القرآن: الآية.

۞ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

(س) من هم الأميون؟ ولماذا سمّوا بهذا الاسم؟

(ج) ١ ـ قيل: إن «الأُمِّيِّينَ» جمع «أمي»، وهو الذي لا يعرف القراءة والكتابة، ونسب إلى الأم باعتبار أنه لم يتلق تعليماً في معهد أو مدرسة غير مدرسة الأم.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً...﴾ ولم يقل هو الذي أرسل في الأميين..؟

(ج) البعث هو إثارة الشيء وتوجيهه[1]، وإنه تعالى لم يقل: هو الذي أرسل.. وذلك لأن في البعث قوة وعزماً ما ليس في الإرسال، وإنه تعالى قال «فِي الأُمِّيِّينَ» وذلك لأجل التأكيد في القيام بالعملية الإصلاحية الكبرى وإيصال المجتمع إلى الهداية المطلوبة منه.

٢ ـ إن المقصود من الأميين هم أهل مكة، لأن مكة كانت تسمى «أم القرى».

٣ ـ ويحتمل أن يكون المراد من «الأُمِّيِّينَ»: هم المتفرقون أمماً وأنهم الجاهليون، ومن هنا ينبغي القول بأن الأمي والجاهلي ليس الذي لا يقرأ ولا يكتب، فقد يُنسب العالمُ الذي يقرأ ويكتب إلى الجاهلية والأمية لأنه لا يتفاعل مع معارفه. وعدم القراءة والكتابة مظهر واحدٌ من مظاهر التخلف والجهل.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كانوا يكتبون ولكن لم يكن معهم كتاب من

---

(١) مفردات الراغب: ص١٣٢.

عند الله، ولا بُعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الأميين»[(١)] وللجاهلية مظاهر شتى تصدق عليها جميعاً كلمة الأمي، التي يبدو أنها ذكرت لتشمل كافة أبعاد الجاهلية، ونستوحي هذا المعنى من استخدام القرآن الكريم لهذه الكلمة في سياق حديثه عن أهل الكتاب، وهم يقرؤون ويكتبون وفيهم من يدعي العلم، قال عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ﴾[(٢)].

(س) إن الأميين ليسوا الوحيدين الذين بعث الله عز وجل إليهم رسولاً فلماذا خُصُّوا بالذكر دون غيرهم؟

(ج) ١ - في الآية إشارة إلى عظمة نعمة الله (سبحانه وتعالى) عليهم، إذ أرسل إليهم نوره العظيم في زمان كانوا فيه في أشد الجهل والتخلف.

٢ - وفيها إشارة إلى عظمة الرسول ﷺ بأنه ليس كسائر الرسل بل هو أعظمهم وسيدهم ثم إنه يحمل رسالة عظمى تحمل النور والهداية لجميع الخلق وإن كانوا في أشدّ درجات الضلال والجهل، وإن هذا النور باقٍ ومستمر إلى يوم القيامة.

(س) لماذا بُعث النبي ﷺ في مكة دون غيرها من بلاد العالم؟

(ج) ١ - لاشك عندما تعهد ربنا (سبحانه وتعالى) بهداية خلقه بقوله ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ لذا فهو يأخذ بالأمور المهمة والنافعة لذلك، ولا يأخذ بالتي هي أقل أهمية فمثلاً عندما أراد إنزال رحمته الهداية إلى المجتمع المصري، أرسل رسوله موسى عليه السلام إلى فرعون الحاكم دون غيره من الناس، وهكذا نراه

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٣٢٢.

(٢) سورة البقرة.

يرسل النبي الأعظم ﷺ إلى مركز بلاد الحجاز وأكبر مدنها، وهي مركز الفساد والضلال، فلذا لابد أن يشع النور والضوء من هذه النقطة ليبدد الفساد والانحراف الذي ينتشر منها.

٢ ـ وعلى القول الأظهر أن الله (سبحانه وتعالى) ينقذ البشرية حينما تتجه حضارتها نحو الدمار والانتهاء وهذا ما وصلت إليه شعوب الجزيرة العربية في زمن النبي الأكرم ﷺ.

٣ ـ وجود بيت الله الحرام في مكة المكرمة أحد العوامل المهمة التي أدت إلى انبثاق نور الرسالة المحمدية منها دون المناطق الأخرى في العالم.

(س) كيف رأى النبي ﷺ حالة الجزيرة العربية عندما بعث إليها؟

(ج) قالت سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام :

«فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمد ﷺ ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأنصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الصراط المستقيم»[1].

۞ قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ)[2].

(س) لماذا سمي النبي ﷺ بالأمي، كما قالت الآية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

(١) الاحتجاج: ج١ ص٩٩.

(٢) سورة الجمعة: ٢.

الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾؟

(ج) ١ ـ قال الماوردي: الجواب من ثلاثة أوجه:

أ: موافقةً مع ما تقدم به بِشارة الأنبياء عليهم السلام.

ب: لمشاكلة حاله لأحوالهم فيكون أقرب لموافقتهم.

(ج) ينفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها[1].

٢ ـ قيل للإمام الباقر عليه السلام: إن الناس يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يكتب ولا يقرأ، فقال: كذبوا لعنهم الله، أنى يكون ذلك وقد قال عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ... ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ فيكون يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ أو يكتب؟ فسئل: فلم سمي النبي الأمي؟ قال «نسب إلى مكة، وذلك قوله عز وجل: ﴿**وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ فأم القرى مكة، فقيل أمي لذلك»[2].

(س) ما هو البرنامج الثقافي والإصلاحي الذي حمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقومه؟.

(ج) ١ ـ إيصال الآيات القرآنية إلى الناس وتبيينها لهم آية بعد آية، قال تعالى: ﴿**يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾، وهذا العمل يؤدي إلى تفجير آفاق الهداية والتزكية والإيمان لهم، ولهذا قال تعالى ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾.

٢ ـ تعليمهم الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾.

---

(١) القرطبي: ج١٨ ص٩٢

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٣٢٢.

❁ قال تعالى: ﴿يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة..﴾

(س) لماذا تقدمت التزكية على تعليم الكتاب والحكمة هنا، بينما تأخرت في آية سورة البقرة في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ..﴾[1]؟

(ج) إنَّ هذه الآية تصف تربيته صلى الله عليه وآله لمؤمني أمته، والتزكية مقدمة في مقام التربية على تعليم العلوم الحقة والمعارف الإلهية وأما في دعوة إبراهيم عليه السلام فإنه دعاءٌ وسؤالٌ أن يتحقق في ذريته الزكاة والعلم بالكتاب والحكمة، وإن مرحلة تحقيق وظهور العلوم والمعارف الإلهية أهم وأرفع درجة من الزكاة الراجعة إلى الأعمال والأخلاق، ولهذا السبب تقدم في هذه الآية ذكر الكتاب والحكمة على التزكية[2].

(س) قال الفخر الرازي في تفسيره: قال أهل المعاني: وكان صلى الله عليه وآله أيضاً أمياً مثل الأمة التي بعث فيهم، وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة، فكانت حاله مشاكلة لحال الأمة الذين بعث فيها، وذلك أقرب إلى صدقه فهل يمكن قبول هذا الكلام؟

(ج) قيل للإمام الباقر عليه السلام: إن الناس يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يكتب ولا يقرأ، فقال: «كذبوا لعنهم الله، أنى يكون ذلك وقد قال عز وجل: ﴿الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ... وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فيكون يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ أو يكتب؟

فسئل: فلم سمي النبي الأمي؟ قال: «نسب إلى مكة، وذلك قوله عز

---

(١) سورة البقرة: ١٢٩.

(٢) تفسير الميزان: ج٢٨ ص٢٦٥.

وجل: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فأم القرى مكة فقيل أمي لذلك»[(١)].

❁ **قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**

(س) ما هو الفرق بين «الكتاب» و«الحكمة»؟

(ج) ١ ـ يمكن أن يكون الفرق بين «الكتاب» و«الحكمة» هو أن الأول إشارة إلى القرآن والثاني إشارة إلى سنّة النبي ﷺ.

٢ ـ يمكن أن يكون الكتاب إشارة إلى أصل العقائد والأحكام الإسلامية والثانية إشارة إلى فلسفتها وأسرارها.

٣ ـ إن الحكمة الإلهية تُستَوحى من الآيات المحكمة وهي كل القرآن الكريم، إذ هي التي تذكر الإنسان بالقيم الفطرية المرتكزة في ضميره، وحينما يبلغ الإنسان درجةً متقدمةً من الوعي بهذه المرتكزات، عندها يصبح فقيهاً قد أوتي الحكمة، وأعرف الناس بالحكمة هو النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين الطاهرين عليهم السلام. عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ قال: «طاعة الله ومعرفة الإمام»[(٢)].

وقال الإمام عليه السلام في تفسير الآية «إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين، فمن تَفَقّه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه»[(٣)].

(س) احتج أهل الكتاب بقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٣٢٢.

(٢) نور الثقلين: ج١ ص٢٨٧.

(٣) المصدر.

مِنْهُمْ...﴾ بأن النبي ﷺ مبعوث إلى الأميين وهم العرب فقط دون غيرهم من الملل، فهل يمكن قبول ذلك؟

(ج) إن احتجاجهم هذا ضعيف ومردود حيث إن تخصيص الشيء بالذكر لا يلزم نفي ما عداه، فنحن حين نقول: جاء محمد، لا نعني أن علياً لم يأتِ، ثم هناك آيات كثيرة تشير إلى أن النبي ﷺ مبعوث لجميع الناس الموجودين على هذه الأرض.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾

(س) ما مناسبة مجيء قوله تعالى؟ وما هي بعض صور الضلال التي كانوا عليها؟

(ج) في الآية المباركة إشارة معبرة إلى الحياة السابقة للعرب وماضيهم الجاهلي الذي كانوا عليه قبل مجيء نور الإسلام، فمن صور الضلال التي كانوا عليها:

١ ـ كانوا يعبدون الأصنام التي يصنعونها بأيديهم من الأحجار أو الخشب أو التمر وغير ذلك ويلتجئون إليها لحل مشاكلهم.

٢ ـ كانوا يدفنون بناتهم وهن أحياء.

٣ ـ كانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر.

٤ ـ كانت صلاتهم التصفيق والصياح إلى جانب الكعبة.

٥ ـ قالت مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام: «وكنتم على شفا حفرة من النار مذقّة الشارب... تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلّة خاسئين، تخافون أن

يتخطفكم الناس من حولكم»[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾

(س) من هم هؤلاء الذين سيلتحقون بركب الرسالة الإسلامية السامية بإذن الله تعالى؟

(ج) ١ ـ إنهم جميع الذين سيأخذون بالإيمان من البشر سواء كانوا عرباً أو عجماً. قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وقال ﷺ: «لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى».

٢ ـ عن أبي هريرة قال: كنّا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرةً أو مرتين أو ثلاثاً، قال، وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»[٢].

٣ ـ عن النبي الأعظم ﷺ قال: «إن في أصلاب أمتي رجالاً ونساءً يدخلون الجنة بغير حساب، ثم تلا هذه الآية»[٣].

❁ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾

(س) لماذا جاء ذكر صفة العزة والحكمة لله عز وجل في آخر هذه الآية ولم يأتِ غيرها من أسماء الله الحسنى؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أن الذين سيأخذون بالإيمان فيما بعد سوف يعزون

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص١٠٠.

(٢) القرطبي: ج١٨ ص٩٢.

(٣) المصدر.

الدّين وينالون العزّة بسبب ذلك، ومن حكمته أنه تعالى جعل رجالاً في كل زمان ومكان تعشق قلوبهم دينه ويبذلون في سبيله الغالي والنفيس، لكي يبقى مصباح الهُدى متوهجاً بين جميع الخلق؛ وخيرُ من نصر الحق وبذل في سبيله الكثير هو النبي محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين المعصومين عليهم السلام قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، وقال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينةِ نوحٍ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

۞ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتلغي جميعَ التصورات المحدودة سواءاً كانت عرقيةً أو قومية أو بيئية، بأنَّ الرسالة تختص فئة دون أخرى، فجاءت الآية لتقول لجميع الناس وإلى يوم القيامة بأن الهداية مكرمة إلهية للجميع من دون النظر إلى اللون واللغة والحسب وسائر الصفات المادية الأخرى. وليس لأحدٍ أن يدعي بأنه مختص بالهداية دون الآخرين، كما قالت اليهود والنصارى: **﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى..﴾**.

(س) ما هو المقصود من «ذلك» في قوله (سبحانه وتعالى): **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**؟

(ج) ١ ـ إنه إشارة إلى بعثة النبي ﷺ، وقد فخم أمره بالإشارة إلى البعيد، فهو المخصوص بالفضل حيث تعلقت به مشيئة الله (سبحانه وتعالى) فأعطاه من فضله والله ذو الفضل العظيم.

٢ ـ من الممكن أن تكون الإشارة إلى البعث بما له من النسبة إلى أطرافه من

المرسل والمرسل إليهم»[١].

٣ ـ وقيل إنَّ الآية كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤[٢].

٤ ـ وقيل إن الآية في صدد إلغاء التصورات الدنيوية المحدودة، حيث تشير بأن الهداية إلى الحق مكرمة إلهية يَهِبُها الله (سبحانه وتعالى) لمن يشاء من خلقه وأنها ليست مختصة بجماعة دون جماعة، كما قال اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾[٣].

❁ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالمِينَ﴾

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاء في بعض الروايات أن اليهود قالوا: «إذا كان محمد ﷺ قد بعث برسالةٍ فإن رسالته لا تشملنا»، فجاءت الآية المباركة لترد عليهم زعمهم الكاذب هذا، بأن رسالته قد أشير إليها في كتابهم السماوي لو أنهم قرؤوها وعملوا بها[٤].

(س) ما المراد من حمل التوراة وعدم حملها؟

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

(٣) من هدي القرآن: الآية.

(٤) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٩٩.

(ج) المراد من تحميل كتاب التوراة هو تعليمه، وعدم حمله هو عدم الأخذ به بالشكل اللازم والمطلوب، فاليهود عُلموا التوراة بشكل كامل، ولكنهم لم يعملوا بأوامره ونواهيه، فلهذا أصبح مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل الكتب وهو لا يعرف ما فيها من المعارف والحقائق، ولا يحصل من الحمل إلا التعب والعناء.

(س) ما وجه اتصال الآية بآيات السورة المباركة؟

(ج) وجه الاتصال هو، لما افتتح الله (سبحانه وتعالى) السورة بما منّ به على المسلمين من بعث النبي ﷺ لهم من بين الأميين ليتلو عليهم آيات كتابه ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ولكن أغلب المسلمين لم يفتحوا صدورهم لاستقبال نور الله (سبحانه وتعالى)، بل فضلوا العاجلة على الآخرة، فاعترض الله (سبحانه وتعالى) بهذا المثل عليهم وذكرهم بحال اليهود حيث حُمّلوا التوراة ولم يحملوها فكانوا كالحمار الذي يحمل أسفاراً ولا ينتفع بما فيها من العلوم والمعرفة، فعليهم أن يهتموا بأمر الدين ويراقبوا الله (سبحانه وتعالى) في حركاتهم وسكناتهم ويعظموا رسوله ﷺ ويسمعوا كلامه ولا ينفضُّوا عنه إذا دعاهم إلى إقامة صلاة الجمعة وأن لا يستهينوا بهذا المنسك العظيم، وليحذروا أن يحل بهم من سخط الله عز وجل ما حلّ باليهود الذين لم يعملوا بما عُلِّموا[1].

(س) لماذا جاء التشبيه بالحمار دون غيره من الحيوانات؟

(ج) ١ - ربنا (سبحانه وتعالى) خلق ﴿**الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً..**﴾، فالزينة والركوب في الخيل أكثر وأظهر ومن ثم البغال ثم الحمير، لذا فإن الحمل على الحمير أظهر وأغلب بالنسبة للخيل والبغال.

---

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٦٧.

٢ ـ إن هذا التمثيل لإظهار الجهل والبلادة، وإنه في الحمار أظهر من غيره من الحيوانات.

٣ ـ إن حمل الكتب على الحمار أتم وأعم وأسهل وأسلم، لكونه ذلول سهل الانقياد، يتصرف فيه الصبي من دون كلفة ومشقة.

٤ ـ لحفظ النسق اللفظي اللازم في الكلام، فبين لفظي الإسفار والحمار مناسبة لفظية لا توجد في الخيل والبغال وغيرها من الحيوانات.

٥ ـ الغرض من الكلام هو تعيير وتحقير الذين يعلمون ولا يعملون فيكون تعيين الحمار هنا أليق وأولى[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿...كَمَثَلِ الحِمَارِ يحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ ولم يقل: يحمل كتباً؟

(ج) الأسفار جمع سفر وهو الكتاب الكبير، الذي يسفر ويكشف عن المعنى والحقيقة إذا قرئ. وفي هذه الكلمة تعريض وتوبيخ للذين حُمِّلوه ولم يَحمِلوهُ كما ينبغي[2].

(س) هل ينطبق هذا المثل على جميع اليهود؟ أي هل جميعهم كانوا يعلمون بما في التوراة ولم يعملوا به؟

(ج) لعل المثل موجّه إلى علماء السوء الذين لم يراعوا أمانة العلم والدين، حيث إنهم أبرز مصاديق المحمّلين لمسؤولية الرسالة؛ ولاشك أن الانحراف الذي وصل إليه اليهود ولا زالوا مرتكزين فيه، كان بسبب أدعياء العلم والدين، أوَلَيْسوا اليوم يقتلون المسلمين وينتهكون الأماكن المقدسة لهم باسم دينهم

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٦.

(٢) المصدر السابق: ص٥.

ويفتاوى الأحبار[١].

۞ قال تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

(س) كيف اعتبر اليهود من المكذبين بآيات الله (سبحانه وتعالى) كما تقول الآية المباركة؟

(ج) يظهر أنهم لم يكتفوا بمخالفة رسالات الله عز وجل عملاً بل خالفوا ذلك بأقوالهم أيضاً[٢]، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ [٣].

۞ قال تعالى: ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

(س) لماذا اعتبر هؤلاء من الظالمين؟

(ج) عندما يفقد الإنسان دينه وينسلخ عن عقيدته لأجل الحصول على دراهم معدودة ومتع زائلة، فإنه لاشك يعد من أشد الناس ظلماً لنفسه، ويزداد هذا الظلم شدةً إذا أخذ ينتشر بين الآخرين، ومن هنا لا يعترف الشرع المقدس بالفقيه الغير العادل ويعتبره فاسقاً[٤].

۞ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٨٣.

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

(٣) سورة البقرة: ٨٧.

(٤) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(ج) جاءت الآية المباركة لتحتج على اليهود ويظهر بذلك كذبهم في دعواهم أنهم أولياء الله وأحباؤه، حيث إنهم مع ظلمهم وطغيانهم على الله (سبحانه وتعالى) وعلى رسله وعدم تطبيقهم لأوامر الدين كانوا يقولون ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[1] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجُنَّةَ إلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾[2]، فجاءت الآية المباركة لتقول لهم: إن كنتم صادقين في دعواكم هذه فتمنوا الموت، لأن الولي يحب لقاء وليه، ولكنهم﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالمِينَ﴾، بل ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[3].

(س) لماذا سمي اليهود بهذا الاسم؟

(ج) إن كلمة اليهود مأخوذة من الهود، وهو الرجوع برفق ومنه التهويد وهو مشي كالدبيب، وصارت في التعارف بمعنى التوبة قال تعالى: ﴿...إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[4]، أي تبنا. قال البعض: إن كلمة اليهود في الأصل من قولهم: هدنا إليك، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح، وإن كلمة النصارى جاءت في الأصل من قوله ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾[5]، ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم، ويقال: هاد فلان: إذا تحرى طريقة اليهود في الدين، وهودٌ في الأصل جمع هائد. أي: التائب وهو اسم نبي

---

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) سورة البقرة: ١١١.

(٣) سورة البقرة: ٩٦.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٥) سورة الصف: ١٤.

من أنبياء الله (سبحانه وتعالى)[١].

(س) كيف زعم اليهود بأنهم أولياء الله وأحباؤه من دون الناس؟

(ج) إنهم زعموا ذلك على أساس أنهم أفضل خلق الله عز وجل وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خلقت لهم من دون الناس ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاّ مَنْ كَانَ هُوداً﴾[٢]، ولكن هذه المزاعم والأكاذيب انكشفت وظهر بطلانها عندما عرضت عليهم مسألة تمني الموت، ورفضهم تمني ذلك بما قدمت واقترفت أيديهم من أنواع المفاسد والمظالم.

❁ قال تعالى: ﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالمِينَ﴾

(س) هل يصح هذا التحدي، فلو أنهم تمنوا الموت هل يثبت بذلك أنهم أولياء الله؟

(ج) يصح هذا التحدي وذلك لتوفر بعض الشروط منها:

١ ـ أن اليهود الذين باهلهم النبي ﷺ يومئذ كانوا يموتون لو تمنّوا الموت تلك اللحظة، قال رسول الله ﷺ «لو تمنوا الموت لماتوا عن آخرهم»[٣].

٢ ـ إن أولياء الله الصادقين يموتون لو طلبوا من الله عز وجل ذلك لثقل دعائهم عنده[٤].

٣ ـ إن الحالة العملية لليهود كانت تشير بكل وضوح إلى أنهم لا يتمنون الموت أبداً، وذلك لفسادهم الكبير ولعدم امتلاكهم عملاً صالحاً لكي يذهبوا

---

(١) مفردات الراغب: ص٨٤٧ (ط ذوي القربى).

(٢) سورة البقرة: ١١١.

(٣) تفسير البصائر: ج٤٦ ص١٨٧.

(٤) من هدي القرآن: الآية.

إليه.

٤ ـ أنهم لو تمنوا الموت لا يثبت بذلك أنهم أولياء الله عز وجل حتى لو ماتوا وهلكوا وذلك لظهور حالة التناقض فيهم من ناحية القول والعمل وسيكون جزاؤهم جهنم وبئس المصير، ولكن لو كان تمنيهم مشفوعاً بتوبة صادقة وخالصة إلى الله (سبحانه وتعالى) نادمين على ما كان منهم، فإنهم لو ماتوا على هذه الحالة سيكونون من المغفور لهم، لأن «من تاب تاب الله عليه».

(س) هل هناك من اليهود من لا يزعم بأنه من أولياء الله؟

(ج) لاشك أن البعض منهم الذي لم يدخل في دائرة المعاصي والآثام لا يدعي ما ليس بحق وما هو بعيد عن المنطق والصواب وعن العقل والفطرة السليمة التي تدعو الإنسان إلى الجد والاجتهاد والعمل الصالح الذي يرضي الله (سبحانه وتعالى).

(س) لو تمنى اليهود اليوم الموت هل يموتون؟

(ج) لاشك أنهم لا يموتون وذلك لعدم امتلاكهم أي مقام وجاه عند الله (سبحانه وتعالى) لكي يستجيب لتمنيهم وطلبهم، ثم إنهم لا يتمنون ذلك كما قال القرآن الكريم: ﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالمِينَ﴾، إنما يتمنى الموت الذي له صفحة بيضاء عند ربه ولا يخشى الانتقال إلى الحياة الأخرى الدائمة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أنفع الموت لمن أشعر الإيمان والتقوى في قلبه»، وقال عليه السلام: «لا مريح كالموت».

(س) هل يصح للإنسان أن يتمنى الموت؟

(ج) يصح ولكن بشروط منها:

١ ـ أن يكون واثقاً من نفسه وعمله قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يتمنى أحدكم

الموت إلا أن يثق بعمله». وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى الحارث الهمداني: «وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت، ولا تتمنّ الموت ولا بشرط وثيق»[١].

٢ ـ أن يعرض الأمر على الله (سبحانه وتعالى) ويرى المصلحة الإلهية في ذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يتمنى أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان ولابدّ فاعلاً فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[٢].

(س) لماذا يكره البعض الموت؟

(ج) لأسباب منها:

١ ـ حب الدنيا: «عن عبد الله بن عبيد قال: قال رجل: يا رسول الله ما لي لا أحب الموت؟

قال: هل لك مال؟ فقدّم مالَكَ بين يديك، فإن المرء مع ماله، إن قدّمه أحبّ أن يلحقه، وإن خلّفه أحبّ أن يتخلف معه»[٣].

٢ ـ ضعف الإيمان بالحياة الحقيقية الآخرة.

بينما نلمس من ثورة عاشوراء: أنه كلما ضاقت حلقة الأعداء وازداد أذاهُم على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ازدادت وجوههم إشراقاً، حتى إن الشيوخ من أصحابه، كانت الابتسامة تظهر على وجوههم في صبيحة عاشوراء، وحينما كانوا يسألون، كانوا يقولون: إننا سنستشهد بعد ساعات فنعانق الحور العين[٤].

---

(١) ميزان الحكمة: ج٩ ص٢٥٦.

(٢) المصدر: ٢٥٥.

(٣) المصدر: ص٢٦٠.

(٤) مقتل الحسين: المقرم ص٢٦٣.

۞ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(س) ماذا تقول الآية المباركة؟

(ج) ١ـ الموت قانون عام يخضع له جميع الخلق حتى الملائكة والأنبياء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ❖ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾، فلذا فإن الفرار منه خطأ محض، حيث يغالط الإنسان بذلك نفسه وعقله.

٢ ـ بما أن الموت حق يعترف به الجميع فلذا فمن البديهي والواجب أن يتهيأ الإنسان له بالشكل اللازم والمناسب.

٣ ـ من الحقائق التي يعترف بها الإنسان بشكل فطري المثول أمام المحكمة الإلهية الكبرى يوم القيامة ولا يحصل هذا المثول إلا بعد الانتقال من هذه الحياة.

٤ ـ يعلم الإنسان بأن الله (سبحانه وتعالى) يعلم بجميع أموره بشكل كامل، حيث إنه ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فلذا فمن الواجب عليه أن يخلط علمه بالعمل لكي يذهب إلى ربه طاهر القلب والقالب.

(س) هل يفر الإنسان من الموت؟ ومتى يكون ذلك؟

(ج) يبدأ الإنسان بالفرار من الموت منذ اللحظة التي يقرر فيها الدخول في دائرة الآثام والمعاصي فإذا استمر هذا الدخول ولم يبال بما يقترف من معاصٍ وموبقات فإن خطواته سوف تتسع وتزداد هروباً من لقاء الحقيقة التي سوف يواجهها شاء أم أبى؛ وأحياناً يقوم بعض المترفين والحكام الظالمين بمخادعة أنفسهم بإبعادها عن فكرة المصير المحتوم الذي سيصيرون إليه، وذلك بتكثير الملذات والأضواء والملاهي الدنيوية حولهم، ولكن لو دامت لغيرهم لما وصلت لهم، بينما يسير الإنسان اتجاه هذه الحقيقة الإلهية الكبرى عندما يكون في

الصراط السوي الذي دعانا إليه رب العزة (سبحانه وتعالى).

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه»[١].

(س) ما هو الموت؟

(ج) الموت هو زوال الحياة عمن كانت فيه[٢].

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «نفس المرء خطاه إلى أجله».

وقال عليه السلام: «في كل وقت موت».

وقال عليه السلام: «في كل لحظة أجل»[٣].

ولا يعني بموت المخلوقات ومنها الإنسان عدمها وفنائها بصورة كاملة، فإذا تصور إنسان ذلك فمعناه أنه حكم على الخلقة بالعبث، وحاشا الله من ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾، وإنما هي مرحلة انتقال ينتقلها المكلّف من حياة إلى حياة أخرى.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ...﴾ ولم يقل فإنَّهُ مواجهكم؟

(ج) لعل في «مُلاقِيكُمْ» إشارة إلى مسألة اللقاء والموعد المعين المكتوب على الإنسان لأجل الانتقال إلى الحياة الأخرى الجديدة التي تختلف عن الأولى، وقد لا تشير كلمة مواجهكم إلى هذا الأمر.

(س) لماذا جاءت كلمة ﴿تَفِرُّونَ﴾ بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار؟

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) المنجد: ٧٧٩.

(٣) ميزان الحكمة: ج٩ ص٢٣٠.

ولم يقل مثلاً فررتم أو ستفرون منه؟

(ج) إن كلمة ﴿تَفِرُّونَ﴾ تشير إلى أن الذين قرروا الابتعاد عن طاعة الله (سبحانه وتعالى) والدخول في دائرة الأهواء والمعاصي، قد انتهجوا نهجاً خاصاً بهم في هذه الحياة، وهو ركوب السبيل الذي يبعدهم عن الموت بشكل دائم ومستمر حيث إن الاستمرار في الدخول في المعاصي يوجب الاستمرار في الهروب من الحقيقة والنتيجة أيضاً، ولهذا السبب قال تعالى ﴿...تَفِرُّونَ﴾ بصيغة المضارع ولم يقل فررتم أو ستفرون.

(س) لماذا قالت الآية المباركة: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولم تقل ثم تردّون إلى الله..؟

(ج) وذلك للإشارة إلى الأعمال التي كانت تصدر منهم في السر والعلن بأن هناك من يعلم السر ويعلم ما يظهره الإنسان وما يكتمه في نفسه من نوايا وأعمال، فالآية المباركة تقول لليهود وللسائرين على نهجهم بأنكم سترجعون إلى الله (سبحانه وتعالى) الذي يعلم بما عملتم وأظهرتم من نوايا وأعمال، ويعلم بما أخفيتم في نفوسكم من نوايا ومن اعتقادات باطلة[1].

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية المباركة بما سبق؟

(ج) ١ـ تحدثت الآيات السابقة حول مسألة التوحيد والنبوة والمعاد وذم اليهود، بعدها جاءت هذه الآيات لتتحدث عن الركائز الإسلامية المهمة التي

---

(١) التفسير الكبير: (الآية) (مع تصرف).

تؤثر في حركة استقرار إيمان الإنسان وصلاحه، من خلال الاهتمام والسعي إلى أداء صلاة الجمعة وترك الأمور الدنيوية[١].

٢ ـ إن اليهود يفرون من الموت لمتاع الدنيا وطيباتها، وهناك الكثير من المسلمين يفرون من الأمور المعنوية ويتجهون نحو الأمور المادية للحصول على متاع الدنيا وطيباتها، فجاءت الآية المباركة لتحذرهم من السلوك الخاطئ الذي كان ينتهجه الكفار من قبل. لهذا قال تعالى ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٣ ـ قال بعضهم قد أبطل الله عز وجل قول اليهود في ثلاث:

أ: افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم بقوله ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ب: أنهم أهل الكتاب، والعرب لا كتاب لهم، فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً.

(ج) افتخروا بالسبت وليس للمسلمين مثله، فشرع الله تعالى لهم الجمعة[٢].

(س) ما سبب نزول الآية؟

(ج) قيل في سبب النزول: هو أنه في إحدى السنوات، أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشية أن يُسبقوا إليه فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط فنزلت الآية، فقال: والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٣٠٧.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٨.

يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً[١].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلى ذكر الله..﴾

(س) متى يكون النداء ولأي صلاة؟

(ج) يكون النداء عندما يجلس الإمام أو خطيب الجمعة على المنبر وذلك في وقت الظهيرة لأداء صلاتي الجمعة والعصر، وليس المراد النداء في وقت آخر ولا لصلاة غير الصلاة المذكورة وذلك لوجود أمر ترك البيع والتجارة ولا تكون التجارة عادة إلا في النهار.

(س) لماذا سُمِّي يوم الجمعة بهذا الاسم؟

(ج) ١ ـ لأنه يوم خصّ فيه اجتماع الناس للصلاة.

٢ ـ عن سلمان المحمدي عليه السلام أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سميت الجمعة جمعة لأن آدم جمع فيها خلقه»[٢].

(س) ما المراد من السعي في قوله عز وجل: **﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله...﴾**؟

(ج) السعي هو المشي بجدٍ، وقيل: إنه ليس سعياً على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب، وسعي بالنية، وسعي بالرغبة، وقوله **﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾** أي العمل، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، ولكن ائتوها وعليكم السكينة»[٣].

وفي رواية أبي الجارود عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في الآية قال:

---

(١) نقلاً عن الكافي.

(٢) نقلاً عن الكافي.

(٣) المصدر السابق.

فاسعوا أي امضوا، ويقال: اسعوا اعملوا لها وهو قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر والغسل، ولبس أنظف الثياب والتطيّب للجمعة فهو السعي، يقول الله ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾ إذاً، فالسعي ليس الإسراع في المشي فحسب.

(س) ما الحكمة من تشريع صلاة الجمعة؟

(ج) الحكمة هي لإظهار الشكر والعبودية لله (سبحانه وتعالى) على النعم الكثيرة التي وضعت بين يدي الإنسان من يوم انعقاد نطفته إلى آخر عمره، إذ قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ ولما كان الهدف من هذه الصلاة إظهار العبادة والشكر لله عز وجل، احتيج فيها إلى الاجتماع الذي تقع فيه الشهرة، وهكذا إلى الخطبة التي فيها تذكير للنعم والحث على الشكر عليها، وأنه تعالى جعل هذا مع الصلاة في وسط النهار ليتم اجتماع الناس وليكون في مسجدٍ واحدٍ ليكون أدعى إلى الاجتماع[١].

(س) هل صلاة الجمعة واجبة؟

(ج) اختلف العلماء في هذا المجال، فالذين يتصورون بإقامة حكومة إسلامية مع غيبة الإمام المعصوم عليه السلام يرون بأنها واجبة، والذين لا يتصورون ذلك لا يرون بوجوبها، إذ يشترطون إذن الإمام عليه السلام فيها. وقال صاحب الجواهر: وهل للفقهاء المؤمنين حال الغيبة والتمكن من الاجتماع والخطبتين صلاة الجمعة؟ أطبق علماؤنا على عدم الوجوب، واختلفوا في استحباب إقامتها فالمشهور ذلك[٢]. حيث إن شرط وجوب الجمعة هو السلطان العادل أو

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) جواهر الكلام: ج١١ ص١٥٣.

نائبه العادل وهو قول علمائنا[١].

(س) لماذا صلاة الجمعة ركعتان؟

(ج) في خبر مأثور عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... لعلل شتى منها: إنَّ الإنسان يتخطى إلى الجمعة من بُعد، فأحبَّ الله عز وجل أن يخفف عنهم لموضع التعب الذي صاروا إليه، ومنها: إن الإمام يحبسهم للخطب، وهم منتظرون للصلاة، ومن انتظر الصلاة فهو في صلاته في حكم التام، ومنها: إن الصلاة مع الإمام أتم وأكمل لعلمه وفقهه وعدله وفضله[٢]، ومنها: إن الجمعة عيد، وصلاة العيد ركعتان، ولم تقصر لمكان الخطبتين».

(س) لماذا شرعت الخطبة في صلاة الجمعة؟

(ج) عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: لأن الجمعة مشهد عام فأراد أن يكون للإمام سبب إلى موعظتهم، وترغيبهم إلى طاعته، وترهيبهم من المعصية، وتوفيقهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم... »[٣].

(س) كيف خصّ ذكر الله بالخطبة، وفيها ذكر الله وغير الله؟

(ج) إن الحديث لو كان في شؤون المسلمين فهو من ذكر الله أيضاً وأما إذا كان في ذكر الحكام الظلمة والثناء عليهم والدعاء لهم فهو من ذكر الشيطان[٤].

(س) لماذا خطبتان؟

(ج) لكي تكون واحدةٌ للثناء والتمجيد والتقديس لله تعالى، والأخرى

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٩١.

(٢) المصدر السابق: ص١٦٥.

(٣) المصدر.

(٤) التفسير الكبير: الآية.

للحوائج والأعذار والإنذار والدعاء وما يريد أن يعلمهم من أمره ونهيه وما فيه الصلاح والفساد[١].

❁ قال تعالى: ﴿..فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ..﴾

(س) لماذا دعت الآية المباركة إلى ترك البيع دون الأفعال الأخرى التي يقوم بها الإنسان؟

(ج) المراد به على ما يفيد السياق النهي عن الاشتغال بكل عمل يشغل الإنسان به عن صلاة الجمعة، سواء كان بيعاً أو غيره، وعلق النهي بالبيع لكونه من أظهر مصاديق ما يشغل عن الصلاة في النّهار[٢].

(س) ما الفرق بين «ذكر الله» في قوله عز وجل: ﴿...فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ وبين ﴿ذِكْرِ اللهِ﴾ في قوله ﴿...وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؟

(ج) الأول من جملة ما لا يجتمع مع التجارة أصلاً والمراد منه الخطبة والصلاة، والثاني من جملة ما يجتمع كما في قوله عز وجل: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[٣].

❁ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(س) لماذا دعت الآية المباركة إلى طلب الرزق بعد أن أمرت بتركه بقوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾؟

---

(١) المصدر.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٠.

(ج) في الآية المباركة:

١ ـ إشارة إلى أنَّ الدين لا يدعو إلى الأمور العبادية فقط، بل يدعو إلى السعي والجد والنشاط في مختلف مجالات الحياة أيضاً فلا رهبانية في الإسلام.

٢ ـ فيها إشارة إلى أن فضل الله ورزقه ينال بالسعي والعمل الحثيث ولا ينال بالتمني والدعاء فحسب.

٣ ـ وتشير أيضاً إلى أن فضل الله ورزقه يرتجى بشكل أكثر بعد أداء الأمور العبادية؛ ولهذا نرى نبي الله نوحاً عليه السلام يقول لقومه[1]: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً**..﴾[2].

(س) يذهب المصلي بعد أدائه لصلاة الجمعة في أغلب الأوقات إلى بيته للاستراحة وتناول طعام الغذاء، فما معنى قوله ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**...﴾؟

(ج) ١ ـ لعل في الآية تعريضاً وكلاماً مع الذين يقضون جميع أوقاتهم لطلب الدنيا، فالآية تقول لهم: ليست الصلاة إلا مقداراً معيناً من الوقت ويمكن لكم بعدها أن تذهبوا لطلب الدنيا أيضاً.

٢ ـ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال في قوله: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ**﴾، ليس بطلب الدنيا ولكن عيادة المريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله[3]. ولكن الآية مطلقة تخير الإنسان وتدعوه إلى طلب أنواع الخيرات سواء كانت مادية أو معنوية.

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

(٢) سورة نوح: ١٠ ـ ١١.

(٣) مجمع البيان: الآية.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ...﴾ ولم يقل إذا قضيتمُ الصلاة؟

(ج) إن صيغة ﴿قُضِيَتِ﴾ تعطي حرمة لوقت الصلاة، بحيث يكون المفهوم أن البيع في وقت صلاة الجمعة المستوفية شروطها حرام لمن شهد الصلاة مع المسلمين ولمن لم يشهدها عمداً، ولو كان التعبير: فإذا قضيتمُ الصلاة، لكان الحكم منحصراً للمصلين فقط ولا يشمل غير المصلين الذين لم يحضروا صلاة الجمعة[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(س) كيف يتمكن التاجر والذي يتعامل مع الناس بصورة مستمرة أن يذكر الله كثيراً كما تقول الآية المباركة؟

(ج) المراد بالذكر أعم من الذكر اللفظي فيشمل ذكره تعالى قلباً ويمكن أن يشمل الذكر العملي أيضاً وذلك عندما يكون التاجر صادقاً ومنصفاً في تعامله مع الآخرين، قال الإمام علي عليه السلام: «الإيمان إقرارٌ باللسان وتصديقٌ بالجنان وعملٌ بالأركان».

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾

(س) ما سبب نزول الآية المباركة؟

(ج) اتفقت الروايات على أنه ورد المدينة عير معها تجارة وذلك يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطب فضربوا بالطبل والدف لإعلام الناس فانفض أهل المسجد إليهم وتركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائماً يخطب فنزلت الآية.

(س) لماذا تغير أسلوب الخطاب من الحاضر إلى الغيبة؟

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٩٦.

(ج) لتأكيد ما يفيده السياق من العتاب واستهجان الفعل الذي صدر من الجماعة التي تركت النبي ﷺ قائماً يخطب لأداء صلاة الجمعة وذهبت إلى حيث اللهو والتجارة[١].

(س) ما المراد من اللهو ولماذا ذكرت بعد لفظة التجارة؟

(ج) ١ ـ التعبير بـ«اللهو» إشارة إلى الطبل وآلات اللهو التي كانت تُستعمل عند دخول قافلة جديدة إلى المدينة كإعلان عن خبر دخولها، وإنها ذكرت بعد كلمة «التجارة».

٢ ـ لعله لتصغير ولتقليل شأن وقيمة هذه التجارة التي فُضّلَت على الصلاة وذكر الله (سبحانه وتعالى)، بالرغم من أن التجارة هي من أفضل الأعمال التي تجلب الرزق للإنسان، حيث فيها تسعة أعشار البركة كما جاء في الحديث الشريف.

۞ **قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً..﴾**

(س) لماذا قال تعالى ﴿**انْفَضُّوا إِلَيْهَا**﴾ دون إليهما؟

(ج) ١ ـ إن الضمير «إِلَيْهَا» راجع إلى التجارة لأنها كانت المقصودة في نفسها واللهو مقصود لأجلها[٢].

٢ ـ قيل إن الضمير «إِلَيْهَا» يمكن أن يعود إلى كليهما، بأن يقال: انفضوا إليه وانفضوا إليها وذلك أن كلاً منهما سبب لانفضاض الناس إليه وتجمعهم عليه، ولذا ردّد بينهما وقال: ﴿**تِجَارَةً أَوْ لَهْواً**﴾، وأن (اللهو) مصدر يجوز فيه التذكير والتأنيث[٣].

---

(١) الميزان: ج٢٨ ص٢٧٥ (مع تصرف).

(٢) تفسير الميزان: الآية.

(٣) المصدر.

(س) كيف قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا...﴾ وهم لا يرون؟

(ج) ليست الرؤية هنا الرؤية البصرية ولكن هو الإحساس بما يقرب منهما. ومثله كقوله عز وجل: ﴿...حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ والمسموع صوت يدل عليه[١].

❁ قال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

(س) هل تدعو الآية المباركة الناس إلى ترك التجارة وعدم الاهتمام بها والاهتمام بما عند الله (سبحانه وتعالى) في الآخرة؟

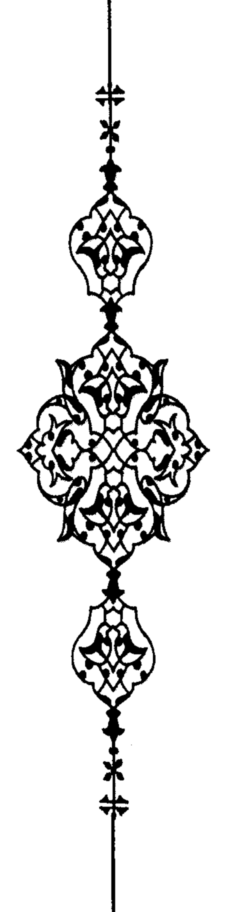
(ج) لا تدعو الآية المباركة إلى ترك العمل والتجارة في الدنيا أبداً، بل تقول إن التجارة أو العمل الطيب الذي فيه الخير والصلاح للجميع ما يكون وفق البرنامج الإلهي ونهجه العظيم، فلا خير في تجارة بعيدة عن وحي السماء وتقوى الله (سبحانه وتعالى)، إذ إنها تجلب الويل والفقر للآخرين. جاء في الحديث الشريف: «التاجر فاجرٌ ما لم يتفقه في الدين».

(س) لماذا حصل تقدم وتأخر في كلمتي التجارة واللهو في الآية المباركة؟

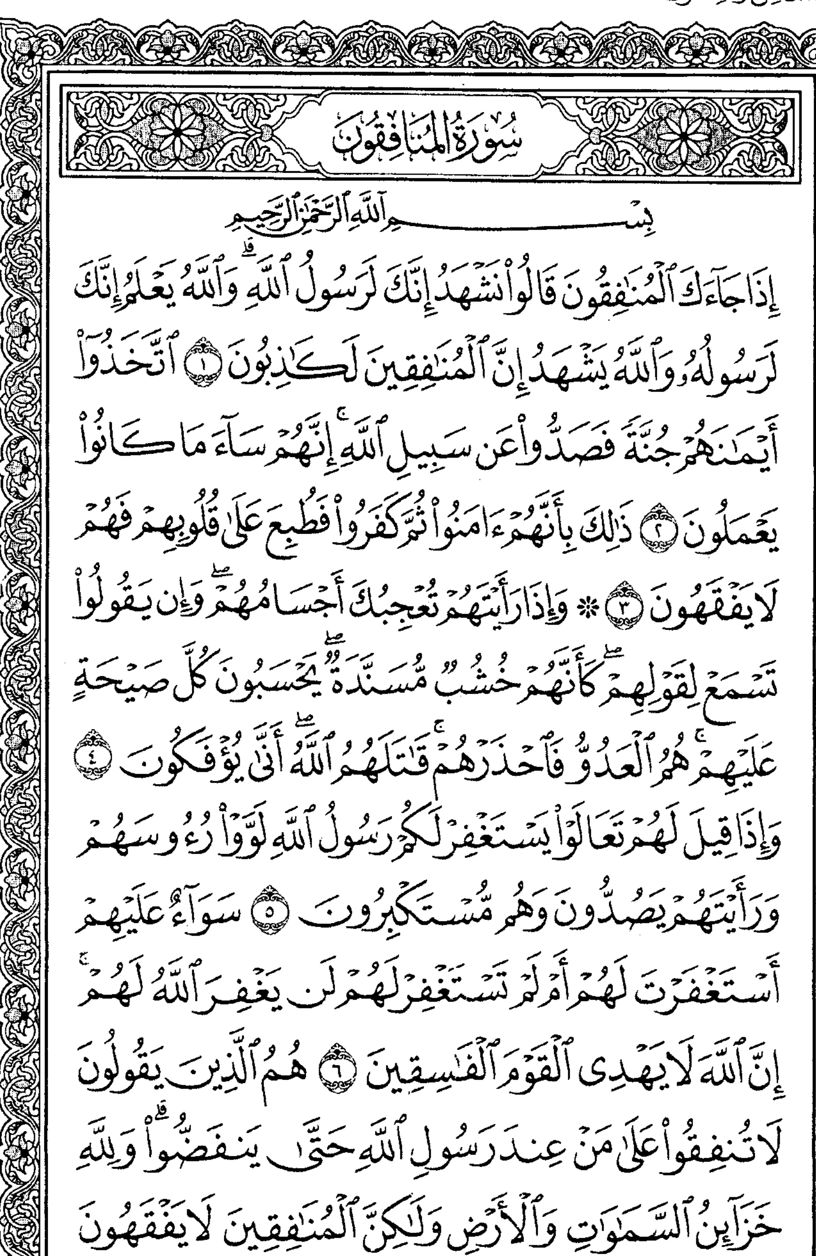
(ج) تقدمت كلمة التجارة أولاً وذلك لبيان ظاهرة الانفضاض عن الصلاة التي تحصل عند البعض، فالتجارة هنا هي الأهم والدافع الكبير في إبعاد الناس عن الصلاة، وعندما أراد الله (سبحانه وتعالى) التأكيد بأن ما عنده هو أفضل من متع الدنيا، بدأ بالأقل ثُمَّ الأكثر، فذكر اللهو أولاً ثم التجارة.

---

(١) التفسير الكبير: الآية.



سورة المنافقون

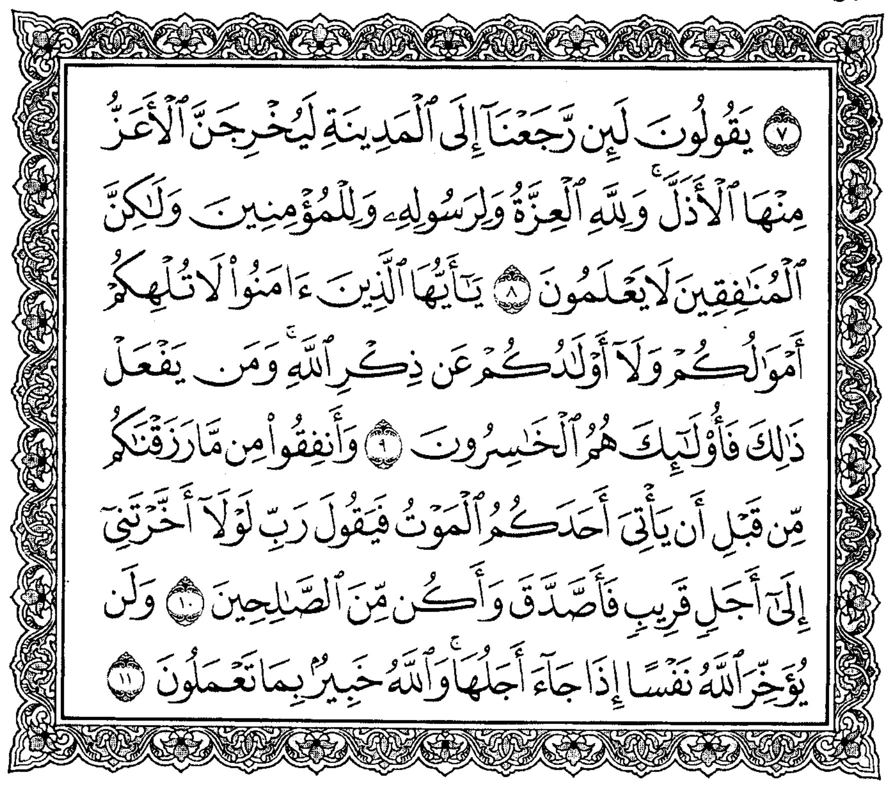


سُورَةُ ٱلْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ

ربع الحزب ٥٦



فضل السورة:

في رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق»[1].

مفردات السورة:

النفاق: الدخول في الشرع من بابٍ والخروج عنه من باب آخر[2].

جنة: وقاية.

الفقه: الفهم العميق.

---

(١) مجمع البيان: السورة

(٢) مفردات الراغب: ص٨١٩.

مسنّدة : مُتكِئَة

يؤفكون : يُصرفونَ عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل ، ومن الصدق في المقال إلى الكذب ، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح[١].

لوّوا رؤوسهم : أدارُوها.

ينفضُّوا : يتفرقوا.

موضوع السورة:

تصف السورة المنافقين وتفضح خططهم ببيان معالمهم ومسيرتهم في الحياة ، حيث التكلف في إظهار الإيمان والطاعة وفي إبطان الكفر العملي ، وتصفهم بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين ، فتأمر النبي ﷺ أن يحذرهم ، وتعظ المؤمنين بالابتعاد عن صفات النفاق لكي لا يقعوا فيه مما يدعو بهم إلى الزج في النار ، فتدعوهم إلى الابتعاد عن التلهي بالأموال والأولاد ، وبالإنفاق في سبيل الله عز وجل والانتفاع بالأموال قبل الموت.

الأسئلة والأجوبة:

(س) ما فائدة الحديث عن النفاق والمنافقين؟

(ج) ١ ـ إن موضوع النفاق موضوع حيوي لا يرتبط بعصر دون عصر ولا بشخص دون الآخرين ، حيث الجميع معرضون للإصابة بهذا الداء الخطير لذلك جاءت السورة المباركة لتوضح هذه الحالة من خلال تبيين صفات المنافقين.

٢ ـ لكي يعرف المسلمون أولئك الذين دخلوا في هذا الخط الخطير ومن ثم ليحذروا منهم حيث إنهم أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من الكفار وذلك لخفائهم وعدم القدرة على تشخيصهم بسهولة.

---

(١) مفردات الراغب : ص٧٩ ط : ذوي القربى.

(س) لماذا نزلت السورة في المدينة المنورة دون مكة المعظمة؟

(ج) أظهَرَ الإسلام مسألة النفاق والمنافقين مع هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، مع بداية استحكام الإسلام وظهور عزّه، إذ لم تكن هناك حالة من النفاق في مكة، لأن الأعداء كانوا لا يخشون الإسلام وما كانوا يحتاجون إلى التخفي واللجوء إلى النفاق من خلال التلبس بشخصيتين متناقضتين[١].

(س) ما وجه اتصال السورة بما قبلها؟

(ج) وجه تعلق السورة بسورة الجمعة، هو أن سورة الجمعة اشتملت على ذكر بعثة النبي ﷺ، وذكر من كان يكذب قلباً ولساناً بضرب المثل حيث قال: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا...﴾**، بينما هذه السورة اشتملت على ذكر من كان يكذب قلباً ويصدق لساناً.

(س) لماذا يعد المنافق أشد خطراً على المسلمين من الكفار؟

(ج) ١ ـ لأنّهم يعيشون داخل المجتمع الإسلامي، بين المسلمين وعلى اطلاع بأسرارهم، بينما هم لا يقبلون تعاليم الإسلام.

٢ ـ لا يمكن التعرف عليهم بسهولة، حيث يظهرون الحب والصدق ويضمرون الحقد والعداوة.

٣ ـ يمتلكون ارتباطات عديدةً مع المؤمنين من خلال التعايش معهم.

٤ ـ يطعنون المجتمع بشكل مُباغت دون أن يُعَرف مصدر الطعنة[٢].

قال النبي الأعظم ﷺ: «إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيخزيه الله بشركه، ولكني أخاف عليكم

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٣٢٣.

(٢) المصدر السابق.

كل منافق عليم اللسان، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون»[١].

❁ **قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ..﴾**

(س) لماذا قال تعالى ﴿..نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾ ولم يقل: نعلم إنك رسول الله؟

(ج) إنَّ قولهم: نشهد إنك لرسول الله، صريح في الشهادة على إثبات الرسالة، وقولهم: نعلم ليس بصريح في إثبات العلم، كما أن علمهم في الغيب عند غيرهم[٢].

❁ **قال تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ..﴾**

(س) لماذا هذه التأكيدات: ﴿نشْهَدُ﴾، ﴿إِنَّكَ﴾، ﴿لَرَسُولُ اللهِ﴾؟

(ج) كان من الممكن للمنافقين أن يقولوا: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾، ولكنهم استخدموا أسلوب التأكيد الكثير في شهادتهم وذلك لتثبيتها، ولكن بما أن القول الخالي من التصديق القلبي والعملي لا قيمة له، لهذا كذّبهم الله عز وجل بشدة وبنفس الأسلوب الذي أكدوا فيه شهادتهم[٣].

❁ **قال تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾**

(س) لماذا تقدم قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ على قوله: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾؟

(ج) وذلك لتأكيد رسالة نبيه ﷺ بعلمه، وليؤكد كذب المنافقين في

---

(١) سفينة البحار: ج٢ ص٦٠٦.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

ادعائهم الولاء والإيمان من خلال شهادتهم فإنها ألفاظ خالية من المحتوى والحقيقة. ولا يحتاج بعد أن بين الله (سبحانه وتعالى) وأكد على علمه برسالة نبيه بأن يشهد على ذلك، حيث لم يقل: والله يشهد إنك لرسوله، في مقابل شهادة المنافقين(١).

(س) ما المقصود من كذب المنافقين في قوله عز وجل: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾؟

(ج) الكذب نوعان، خبري ومخبري، فإذا جاء الإنسان بخبر مطابق للواقع ولكنه غير مطابق لاعتقاده فهذا من الكذب المخبري، فلهذا لا يمكن أن يقال له إنه صادق فيما يقول.

بعبارةٍ أخرى: إن المنافقين لم يريدوا الإخبار عن رسالة النبي ﷺ وإنما أرادوا الإخبار عن اعتقادهم برسالته، ولهذا جاء الرد الشديد لكذبهم الصارخ هذا(٢).

❁ قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾

(س) ما هو هدف المنافقين من تسترهم بالإيمان؟

(ج) ١ ـ إخفاء ما هم عليه من الكفر والانحراف.

٢ ـ التحصن عن ردات فعل المؤمنين والمجتمع التي تتوجه إليهم عند انكشاف حقيقتهم.

٣ ـ الوصول إلى الأهداف والنوايا الخبيثة التي في صدورهم.

---

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

❁ قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾

(س) كيف يصد المنافقون عن سبيل الله؟

(ج) وذلك من خلال منع الآخرين من سلوك الطريق المستقيم الذي دعا إليه الله ورسوله ﷺ، وذلك عن طريق:

١ ـ توجيه التهم والأكاذيب على المؤمنين الصادقين لإبعاد الناس عنهم.

٢ ـ رفع الشعارات الكاذبة والاهتمام الشديد بالقشور، كالاهتمام الكثير في بناء المساجد الجميلة وصرف الأموال الطائلة في سبيلها، كما بنى المنافقون في زمن النبي ﷺ مسجد ضرار.

٣ ـ التضييق على المؤمنين بمختلف الطرق والأساليب لاسيما التي تمس واقعهم الاقتصادي والمعيشي، فنرى اليوم الكثير مِمَّن يرفع الشعارات الإسلامية والإيمانية ولكن أعماله لا تتطابق مع ادعاءاته، حيث لا ينظر إلى أفراد مجتمعه بنظرة واحدة عادلة.

(س) لماذا سمّى القرآن الكريم إيمان المنافقين بالجنة؟

(ج) يقال للدرع الذي يتستر به الإنسان من ضربات العدو بـ«الجنة»، فكذلك المنافقون اتخذوا الدين والإيمان درعاً يتحصنون به للوصول إلى مقاصدهم ونواياهم الشريرة والظالمة.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(س) لماذا قال تعالى عن المنافقين بـ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولم يقل هذا عن الكفار؟

(ج) ١ـ وذلك لخبث وفساد فعلهم، حيث إنهم تلبسوا بشخصيتين مختلفتين، شخصية إيمانية بالظاهر، وشخصية كافرة بالباطن ولم يكن إيمانهم إلا لأجل حفظ أموالهم ومناصبهم ودمائهم، ولأجل الوصول إلى أهدافهم الباطلة.

٢ ـ لعل كلمة «ساء» تهدي إلى أن أعمال المنافقين تترك آثاراً سيئة في المجتمع، فلذا على المسلمين أن يحذروا منهم إذ إنهم أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من الكفار.

۞ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾

(س) ما المراد من إيمان المنافقين بقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا..﴾؟

(ج) ١ ـ أنهم آمنوا بألسنتهم ظاهراً بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وفعلوا كما يفعل المسلمون، ولكنهم اختاروا بعد ذلك الكفر الباطني، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

٢ ـ لا يبعد أن يكون فيهم من آمن حقيقة ثم ارتدّ وكتم ارتداده فلحق بالمنافقين يتربص بالنبي ﷺ الدوائر، كما قال تعالى ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ﴾[2][3]، وما أكثر هؤلاء الذين باعوا دينهم وآخرتهم مقابل بعض الأهواء والشهوات.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما والله لقد تقمصها فُلانٌ وإنهُ ليعلَم أنَّ محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير فسدلت دُونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقتُ أرتئي بين أن

---

(١) سورة البقرة: ١٤.

(٢) سورة التوبة: ٧٧.

(٣) تفسير الميزان: ج٢٨ ص٢٨٠.

أصول بيدٍ جذاء (مقطوعة) أو أصبر على طخيةٍ (ظلمة) عمياء..»[١].

❁ قال تعالى: ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾

(س) ما هو الطبع ولماذا؟

(ج) الطبع هو الختم على القلب يستتبع عدم قبول الحق والحرمان منه ومن ثم متابعة الهوى والباطل، قال تعالى: ﴿طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[٢] ولعل الطبع هو نسيان الله لهم وتركهم بما نسوه، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ لأجل المجازاة لهم على اختيارهم الطريق الباطل. ولاشك أنهم سيرون من هذه المجازاة العذاب الروحي في الدنيا ومن ثم الخزي والفضيحة بين المؤمنين، لذا فهي عقوبة مهمة لابد من إنزالها عليهم لكي تنكشف من خلالها هوياتهم المزيفة[٣].

(س) كيف يختم الله (سبحانه وتعالى) على قلوب المنافقين وهم على قيد الحياة، لماذا لا يمهلون لعلهم يتوبون؟

(ج) بما أن الله لا يظلم مثقال ذرة وأنه لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية ومن عصاه، وأن معاقبة المسيء سنة استنها على نفسه، قال عز وجل: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ...﴾، لذا فعندما يعلم عز وجل بأن هذا المنافق لا يهتدي في المستقبل إلى الحق أبداً وأن الطبع على قلبه أمر لابد منه، لهذا يختم الله على قلبه ليذيقه شيئاً من عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة الشديد والدائم.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقيّة.

(٢) سورة محمد: ١٦.

(٣) الميزان: الآية (مع تصرف).

(س) هل يمكن للمؤمن أن يكون منافقاً؟

(ج) بما أن الإيمان كيانٌ متكامل قائم على أساس مجموعة من العقائد والأعمال، والكفر هو الكيان المناقض له، لذا فكلما ينسحب الإنسان خطوةً من دار الإيمان وكيانه، يدخل بقدرها دار الكفر وكيانه، قال رسول الله ﷺ: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ ولم يقل أبدانهم؟

(ج) ١ ـ لعل الجسم أعم من البدن، فهو كل ما يتصل بكيان الإنسان المادي.

٢ ـ يمكن أن تكون أبدانهم مهزولة أو سمينة من كثرة الأكل والشرب كما كان معاوية بن أبي سفيان حيث ذكر المؤرخون بأنه إذا قام من مكانه قامت بطنته معه، فكان يأكل ولا يشبع لدعاء النبي ﷺ عليه.

(س) لماذا يهتم المنافقون بمظهرهم الخارجي؟

(ج) إنه الأسلوب المهم والوحيد الذي يتمسكون ويهتمون به بشكل كبير جداً وذلك لتمرير مخططاتهم وأهدافهم الخبيثة، فتراهم يهتمون في تعمير وتلوين مساجدهم، ويتسابقون في حضور صلاة الجماعة، ويطلقون لحاهم ويقصرون ثيابهم، ويكثرون من طبع المصحف الشريف وتوزيعه مجاناً وغير

---

(١) تفسير القرطبي: ج١٨ ص١٢٢.

ذلك من المظاهر الدينية، ولكنهم من جانب آخر يضعون أيديهم في أيدي أعداء الإسلام والمسلمين، من اليهود والنصارى، ويتفقون معهم في جميع شؤون الحياة اتفاق الأخ مع أخيه، لذا فعندما يفتقد المنافقون إلى الجوهر والإيمان الصحيح، تراهم يهتمون بالقشور والمظاهر البراقة لخداع البسطاء من المسلمين، وهكذا المؤمن إذا نظر إليهم يتعجب من مظهرهم الخارجي، وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾

(س) ما سر جمال كلام المنافقين؟

(ج) يظهر أنَّ المنافقين يهتمون بأسلوب كلامهم بشكل كبير كاهتمامهم بمظهرهم الخارجي لأجل التأثير على الناس والوصول إلى أهدافهم وغاياتهم الكافرة، وبما أن القول يشمل الكلام والكتابة فلذا تراهم يستأجرون الخطباء الفصحاء، إذا تكلموا مال السامع إلى الإصغاء إلى كلامهم لحلاوة ظاهره وحسن نظمه، ويوظفون أصحاب الأقلام الجميلة لنشر أفكارهم وشعاراتهم البراقة الخالية من الصدق والتطبيق.

(س) هل يمكن للمؤمن أن ينخدع بكلام المنافقين؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «مغرس الكلام القلب ومستودعه الفكر، ومقوّمه العقل...»[1].

وكما قيل: إن الكلام إذا خرج من القلب دخل القلب، وإذا خرج من اللسان فلا يتجاوز الآذان، وبما أن المنافقين كاذبون في إيمانهم واعتقادهم فلذا لا يملكون كلاماً يتمكنون من خلاله خداع المؤمنين الذين ينظرون إلى الأمور بعين

---

(١) ميزان الحكمة: ج٨ ص٤٣٤.

الله (سبحانه وتعالى)، وإذا سمعوا كلامهم مرة فسوف لا يسمعونه مرة ثانية، جاء في الحديث الشريف: «لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين».

(س) كيف نجمع بين قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ...﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لحْنِ الْقَوْلِ﴾؟

(ج) تشير الآية الأولى إلى حسن المظهر الخارجي للمنافقين وإلى حسن كلامهم وأنهم يُؤَثّرون بهذه المظاهر على أفكار المسلمين، بينما تشير الآية الثانية إلى أن المنافقين لهم علامات تميزهم عن أهل الإيمان وهذه العلامات يمكن أن تظهر على وجوههم بشكلٍ واضح لأهل الخبرة والمؤمنين المتوسمين الذين ينظرون بنور الله (سبحانه وتعالى)، فمثلاً بإمكانك أن تعرف المنافقين حين ينادي المنادي إلى الصلاة أو الزكاة أو الجهاد فتراه تنكمش روحه ونفسه عند سماعه للنداء، بينما تنبسط روح المؤمن وقسمات وجهه عند ذلك. وهكذا يمكن للمؤمن معرفتهم من خلال حديثهم أيضاً[1] قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»[2].

۞ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾

(س) لماذا وصف المنافقون بهذا الوصف؟

(ج) ١ ـ الخشُب المسندة هي الخشب التي لا يمكن الانتفاع بها بحال من الأحوال، فالخشَب الذي لا يسند على الجدار لمدة طويلة يمكن أن يستفاد منه في

---

(١) من هدي القرآن: ج١٣ ص٢٦٤.

(٢) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

البناء أو في صنع الأبواب وغير ذلك، وما دام متروكاً لا ينتفع به يسند إلى الجدار لمدة طويلة، فكذلك المنافق عندما يدخل دائرة الكفر، تُسلب منه النعم التي أعطيت له ويصبح كالجماد قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾[1].

٢ ـ الخشب المسندة كانت في الأصل طرية، يمكن أن ينتفع بها، ثم تصير غليظة يابسة، كذلك الأمر بالنسبة للكافر والمنافق.

٣ ـ الخشب المسندة لا تنفع إلا للحطب وللإحراق، وكذلك الأمر بالنسبة لعاقبة المنافقين، قال عز وجل: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾.

٤ ـ الخشب المسندة أحد طرفيها إلى جهة، والآخر إلى جهة أخرى فكذلك المنافق. حيث إن أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة الكفر، والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة المسلمين[2].

(س) لماذا أضافت الآية المباركة صفة الإسناد إلى الخشب ولم يقل كأنهم خشب فقط؟

(ج) وذلك لتنفي أي دور إيجابي للمنافقين في المجتمع المسلم، حيث إن الخشب غير المسند يمكن أن ينتفع به، بينما المسند لا ينتفع به إلا للإحراق.

۞ قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾

(س) لماذا اتصف المنافقون بهذه الصفة؟

(ج) بما أن المنافقين يعيشون حالة الازدواجية في نفوسهم فمن جانب

---

(١) ٧: ١٧٩.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٦.

يبطنون الكفر ومن جانب آخر يدّعون بأنهم مسلمون مجاهدون في سبيل الله، لهذا يعيشون حالة الوجل والخوف من افتضاح أمرهم واطلاع الناس على حقيقتهم، فلهذا يظنون بأن كل صيحة تطلق في المجتمع أنهم هم المقصودون بها دون غيرهم[١].

(س) كيف وصفهم الله (سبحانه وتعالى) بالخشب المسندة في الآية السابقة وهم ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾؟

(ج) لا يلزم أن يكون المشبه والمشبه به يشتركان في جميع الأوصاف، فهم كالخشب المسندة بالنسبة إلى الانتفاع وعدم الانتفاع وليسوا كالخشب المسندة بالنسبة إلى الاستماع وعدم الاستماع للصيحة وغيرها[٢].

❁ **قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾**

(س) كيف يتضح عداء المنافقين للمؤمنين؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أصدقاؤك ثلاث صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك، وأعداؤك ثلاث عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك»، وبما أن المنافقين هم كفار من الناحية القلبية ومن جانب آخر يعقدون اتفاقيات ومعاهدات كثيرة مع الكفار في مختلف المجالات الحيوية، من دون النظر إلى مصلحة الإسلام والمسلمين، فلذا فهم أعداء شديدون على المسلمين.

(س) ما أهمية الموقف الصارم مع المنافقين؟

(ج) بما أن للمنافقين صورتين ووجهين، تارةً يتظاهرون بالمحبة ومن جانب

---

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٨١.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٦.

آخر يكتمون العداء الشديد، فلذا قد يتردد المؤمنون في اتخاذ الموقف الواضح منهم، وقد يشكك البعض في كونهم أعداء، بينما تدل أعمالهم بشكل واضح بأنهم لا يملكون من الدين شيئاً، قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[1][2].

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحذركم أهل النفاق، فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألواناً ويفتنون افتناناً ويعمدونكم بكل عماد، ويرصدونكم بكل مرصاد... وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء...»[3].

❁ قال تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

(س) كيف يقاتل الله عز وجل المنافقين؟

(ج) ١ ـ بأن يطردهم من رحمته وفضله.

٢ ـ قيل: هو دعاء عليهم وطلب من ذاته بأن يلعنهم ويخزيهم وتعليم للمؤمنين أن يدعوا بذلك[4].

٣ ـ تعطي الآية المباركة الشرعية للمؤمنين للعداء معهم بل ومقاتلتهم، فما دام الله يقاتلهم يجب على المؤمنين ذلك أيضاً[5].

---

(١) سورة النساء: ٨٨.

(٢) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٣) نهج البلاغة.

(٤) الميزان: ج١٩ ص٢٨١ (مع تصرف).

(٥) من هدي القرآن: ج١٥ ص٤١٨.

(س) هل هناك حد يتوقف عنده المنافقون؟

(ج) قال تعالى: ﴿..أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ليس هناك حدٌّ ونقطةٌ يقف عندها المنافقون من الكيد والمكر والصرف عن الحق، فهم كالشيطان الرجيم الذي لا يكتفي بإضلال مجموعة من الناس دون الآخرين، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

فـ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ مسوقة للتعجب أي كيف يصرفون الناس عن الحق؟! وإلى أيّ حدّ؟! وهكذا أصبح المنافق جندياً من جنود الشيطان بعد أن عطّل ضميره وعقله[2].

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾

(س) ما المراد من قوله عز وجل: ﴿..تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ..﴾؟

(ج) تشير الآية المباركة إلى أنهم كانوا بعيدين عن النبي ﷺ من ناحية الروح والقلب والمضمون بينما كانوا قريبين منه من ناحية الجسد والمنظر الخارجي لأجل الحصول على المطامع الدنيوية، ولكن هل يبقى لهذا الجسد قيمة وهو خال من الروح والمعنى؟! قال «تعالى»: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ...﴾[3]، فإذاً، تعالوا هنا ليس المراد منها هو المجيء المكاني، بل المجيء الروحي والقلبي والعقلي.

(س) لماذا كانوا يرفضون المجيء الروحي الصادق إلى النبي ﷺ وهم قريبون منه؟

---

(١) سورة ص: ٨٣.

(٢) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٣) سورة النمل: ٨٠.

(ج) إن المجيء الصادق إلى النبي ﷺ وإلى امتداده الطاهر وهم أئمة الهدى عليهم السلام معناه هو الاعتراف الكامل بهم وبقيادتهم الإلهية الحقة ورفض الاعتراف للقيادات الشيطانية الباطلة، وهذا ما لا تطيقه النفوس الجاهلة التي اغترت بمتع الحياة الدنيا، ومن هذا المنطلق أصبحت الطاعة للقيادة الرسالية الحقة مقياس الإيمان الصادق في كل آن وزمان، ولهذا نرى اليوم الكثير ممن يدعي الإسلام يسعون إلى التظاهر بالشعائر الدينية كالصلاة والصيام والحج ولكنهم يرفضون الاعتراف بمنهج الحق الذي يحمله الأئمة المعصومون عليهم السلام بعد النبي ﷺ.

(س) ما المراد من دعوتهم للحصول على استغفار النبي ﷺ؟

(ج) إنها دعوة لفتح صفحة جديدة في العلاقة مع رب العالمين، بأن تكون هذه العلاقة شاملة وكاملة تشمل جميع شؤون الحياة صغيرة كانت أو كبيرة بل حتى لو كانت بوزن مثقال ذرة. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يستغفر لكم رسول الله لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾

(س) ماذا تعني تلوية الرأس في الآية المباركة؟

(ج) إما أن تكون علامة للرفض عن طريق تحريكها، وإما لأنه العضو الذي يحدد به الإنسان وجهته، فهم يصرفون وجهتهم خلاف تلك الدعوة[1].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ﴾؟

(ج) تشير الآيةُ الأولى إلى ساعة مجيئهم إلى النبي ﷺ لأجل التظاهر

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

بالإسلام والإيمان وليحصلوا من وراء ذلك على أهدافهم ونواياهم الدنيوية، بينما الآية الثانية تشير إلى ساعة الإيمان الحقيقية الممزوجة بالطاعة لأوامر القيادة الإلهية فهم يهربون منها بمختلف الطرق والوسائل[١].

❁ **قال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾**

(س) كيف كانوا يصدون ويستكبرون؟

(ج) كانوا يعرضون عن الاستجابة للحق ويعيشون حالة الاستكبار بما يشعرون من عظمة جوفاء خاوية.

❁ **قال عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لهم﴾**

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى والآية السابقة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ...﴾؟

(ج) دعت الآية السابقة المنافقين إلى مسألة استغفار الرسول ﷺ بشرط التقرب القلبي إليه مع تقربهم القالبي، فلما رفضوا هذا الأمر، جاءت الآية المباركة لتبين انحرافهم بشكل كامل من جميع أنواع الشفاعة بسبب رفضهم لقبول الحق وصدهم عن سبيل الله.

(س) لماذا لا تقبل فيهم شفاعة النبي ﷺ وقد بعث رحمة للعالمين؟

(ج) إن شفاعة النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام لا تشمل الطغاة والمنافقين للعوامل الآتية:

١ ـ عدم امتلاكهم للسعي الذاتي الصالح الذي يرضاه الله عز وجل ورسوله

(١) المصدر: الآية (مع تصرف).

والمؤمنون.

٢ ـ إن الشفاعة إنما تحصل للإنسان وذلك إذا اعترضته بعض الذنوب الصغيرة في وقت يملك فيه شيئاً من الحسنات الكبار، فإذا كان لا يمتلك الإنسان شيئاً من الصالحات فكيف يمكن أن تُغفر ذنوبه.

٣ ـ إن الأساس في قبول الشفاعة هو الله (سبحانه وتعالى)، فإذا كان الإنسان مرفوضاً من قبله، فإن شفاعة الشافعين لا تنفعه حتى لو كان من أقرب المقربين. قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ ولهذا قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(س) لماذا لم يقل الله تعالى: القومَ الكافرين أو المنافقين أو المستكبرين مع أن كل واحد منهم من جملة ما سبق ذكره؟

(ج) إن كل واحد من هذه الأقوام داخل تحت قوله ﴿الفاسقين﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا..﴾

(س) ما سبب مجيء قوله تعالى؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتبين صورة من صور فسق المنافقين وخطرهم الكبير على الإسلام والمسلمين، حيث إنهم يعلنون الحرب الاقتصادية على

---

(١) سورة النساء: ٦٤.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

المسلمين ما داموا يتمسكون بمبادئ الإسلام كما ينبغي، ولكن إذا انفضوا عن الإسلام الصحيح وأخذوا بالقشور والظواهر فإنهم سيكونون في خير وسلام، ويعقدون معهم علاقاتهم الاقتصادية بشكل طبيعي وسيسمحون للآخرين بالتعامل معهم، وهذا مانراه سائداً في عالمنا اليوم بشكل كامل.

(س) هل يتمكن المنافقون من التأثير على المؤمنين بحربهم الاقتصادية هذه؟

(ج) ١ ـ بما أن المنافقين ينظرون إلى الحياة وإلى الإنسان نظرة مادية بحتة، فلهذا يتصورون أنهم يتمكنون من السيطرة على المؤمنين والقضاء عليهم، ولكنهم نسوا بأن الجانب المعنوي في المؤمن أقوى من جسده، حيث يتمكن هذا الجانب الهيمنة والسيطرة على متطلبات الجسد بفعل الارتباط الوثيق بالله (سبحانه وتعالى).

٢ ـ بما أن الدنيا وما فيها بيد الله (سبحانه وتعالى)، فلهذا يتمكن المؤمنون من الاستغناء عن المنافقين بشكلٍ كامل، حيث إن موارد الطبيعة موضوعة للجميع ولا تستطيع جماعة معينة أن تحتكرها لنفسها وتمنع الآخرين منها. ولهذا قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾

(س) ما هي الأمور التي لا يفهمها المنافقون؟

(ج) يتصور المنافقون بأن المؤمنين سوف تنشل حركتهم في الحياة ويموتون جوعاً إذا لم ينفقوا عليهم من أموالهم، ومن جانب آخر لا يعتقدون بوجود الله (سبحانه وتعالى) القادر على رزق الإنسان من حيث لا يحتسب، وما أكثر المسلمين الذين يحملون صفات واعتقادات المنافقين في نفوسهم وأرواحهم،

يتصورون بأنهم على خير وأنهم أفضل خلق الله (سبحانه وتعالى)[1].

❁ قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾

(س) ماذا كان لدى المنافقين في المدينة ليشعروا بالقوة والعزة فيها؟

(ج) ١ ـ إن المدينة هي وطنهم حسب زعمهم، وأن الرسول ﷺ والمهاجرين ليسوا منها، فلذا لابدّ من إخراجهم باعتبارهم أجانب.

٢ ـ امتلاك العدد الكثير من الأنصار المؤيدين لخط الضلال والنفاق.

(س) متى قال المنافقون هذا الكلام؟

(ج) قالوا ذلك عندما كانوا مع المؤمنين خارج المدينة، في غزوة بني المصطلق، وكان الجيش متكوناً من الأصحاب الأوفياء للنبي ﷺ المنضبطين في تنفيذ أوامره، فلهذا ما كان المنافقون يجدون ثغرةً للدخول منها في مواجهة الإسلام والمسلمين، فأجلوا هذا الأمر إلى الرجوع إلى المدينة، حيث الإمكانيات أكثر.

(س) لماذا قالوا ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ..﴾ ولم يقولوا: لئن رجعنا إلى وطننا أو إلى يثرب...؟

(ج) إنهم ناقضوا بهذا الكلام أنفسهم، حيث إن المدينة التي امتلأت بالدين والإيمان بفعل وجود النبي الأعظم ﷺ وأصحابه الصالحين، كيف يمكن لهم بعد هذا مواجهة نور الإسلام العظيم الذي أبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، لذا كان من الواجب عليهم أن يقولوا: لئن رجعنا إلى وطننا أو إلى قريتنا، لكي يبينوا بكلامهم هذا حقيقتهم البعيدة عن الإسلام والإيمان، وذلك لأن لفظة «المدينة» تشير إلى حقيقة وجود الدين، أما المنطقة الخالية من

---

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

الدين لا يمكن إطلاق اسم المدينة عليها ولو كانت كبيرة جداً، بينما تطلق هذه اللفظة على المنطقة الصغيرة ولو وُجد فيها شخص واحدٌ صاحبُ دين، قال تعالى: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء قوله تعالى؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتستنكر على المنافقين ما ذهبوا إليه، ولتستنكر على كل من يعتقد باعتقادهم إذ إن العزة إنما تكون في الأمور التي لا يعتريها زوال وفناء، ولا تكون في التي تفنى بين عشيةٍ وضحاها، فليست العزة بالأموال والوطن والعشيرة، فكم من غني يعيش الفقر والفاقة في نفسه وكم من غني يعيش في وطنه وبين أهله ولكنه يواجه الذُلَّ والهوان بمختلف الصور والأساليب بسبب فقره الروحي.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته».

وقيل إن رجلاً قال للإمام الحسن عليه السلام: إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً، قال: ليس بتيه ولكن عزة فإن هذا العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه، وتلا هذه الآية ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾[2].

---

(١) سورة يس: ٢٠، ٢١.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٧ (مع تصرف).

(س) لماذا اختتمت الآية السابقة بأن المنافقين ﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ بينما قال في آخر هذه الآية بأنهم «لا يعلمون»؟

(ج) ١ ـ إنّ معرفة القوانين الاقتصادية في الكون تحتاج إلى الفهم العميق للأمور، وهذا ما أشار الله (سبحانه وتعالى) إليه في الآية المتقدمة، بينما معرفة القوانين الاجتماعية لا تحتاج إلى ذلك، بل يتمكن الإنسان من معرفة هذه القوانين عن طريق بذل جهد قليل وهو التعلم ولهذا قال عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1]

ثم إن الجميع يعرف بشكل كامل بأن الأموال والمتع الدنيوية أمور زائلة ومتنقلة من شخص إلى آخر ولا يمكن الاعتماد عليها بالشكل الكامل[2].

٢ ـ الآية السابقة تشير إلى قلة فهم المنافقين، بينما الثانية تشير إلى كثرة حماقتهم[3].

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) بما أن المنافقين والكفار يسعون دائماً إلى تعميق الروح المادية في المجتمع وبمختلف الصور والمجالات الحياتية، لأجل القضاء على الإيمان في نفوسهم ومن ثم إدخالهم في بوتقة الضلال والفساد الذي دخلوا فيه، فلهذا جاءت الآية المباركة لتحذر المؤمنين من مغبة الوقوع في هذا المستنقع المهلك فيما إذا التهوا بالأمور المادية بشكل كبير، كما التهى المنافقون والكفار بذلك[4].

---

(١) سورة هود: ٦.

(٢) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٣) تفسير الكبير: الآية.

(٤) من هدي القرآن: الآية.

(س) من هم المعنيون بشكل أكثر بالآية المباركة؟

(ج) لاشك أن المعنيين بشكل أكبر هم الأغنياء والذين هم في طريق ذلك، حيث إنهم معرضون لخطر كبير فيما لو غرتهم زينة الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿**المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[١].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الدنيا إذا أقبلت على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» نهج البلاغة.

(س) لماذا تقدم ذكر الأموال على الأولاد في الآية المباركة؟

(ج) تقدم ذكر الأموال على الأولاد وذلك لأهميتها عند الرجل بشكل أكبر من أهمية الأولاد، حيث إن الأموال طاقة كبيرة يمكن أن تستخدم في البناء والتعمير ونشر الخير بينما قد لا يكون الأولاد كذلك دائماً، حيث نرى القرآن الكريم يشير إلى الأموال بأنها عامل للقيام والنهضة في المجتمع، بينما لم يقل ذلك عن الأولاد، قال تعالى: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً**﴾[٢].

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ينام الرجل على الثكل ولا ينام على فقد الأموال»[٣].

(س) لماذا أشارت الآية إلى الأموال والأولاد فقط، فلعل هناك أموراً أخرى يمكن أن تلهي الإنسان أيضاً وتبعده عن ذكر الله (سبحانه وتعالى)؟

---

(١) سورة الكهف: ٤٧.

(٢) سورة النساء: ٥.

(٣) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(ج) ١ ـ لاشك أن هناك أموراً أخرى يمكن أن تلهي الإنسان وتبعده عن عبادة الله (سبحانه وتعالى) مثل حب الجاه والمقام والشهرة، وحب النساء وغير ذلك، ولكن ذكرت الآية الأموال والأولاد فقط وذلك لأن أغلب الناس يبتلون بهما دون أن يتبلوا بالشهوات الأخرى.

٢ ـ ليس المراد من الأموال الدراهم والدنانير والذهب فقط، بل يمكن أن تكون الأراضي والعقارات والعمارات وجميع الإمكانيات الاقتصادية. وكذلك ليس المراد من الأولاد الأبناء فقط، بل يمكن أن يكون المقصود صلة الإنسان بالآخرين بشكل عام.

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾

(س) ما هو المراد من «ذكر الله» في الآية المباركة؟

(ج) قال بعض المفسرين: إن المراد من ذكر الله في الآية الصلوات الخمس، وقال آخرون: إنه شكر النعمة والصبر على البلاء والرضى بالقضاء، وقيل إنه الحج والزكاة وتلاوة القرآن، واحتمل البعض أنها جميع الفرائض الواجبة، ويبدو أن لـ«ذكر الله» معنى واسعاً يشمل كل تلك المصاديق[١].

(س) لماذا اعتبر الذي ينشغل بالأموال والأولاد بأنه خاسر؟

(ج) ١ ـ لأنَّه تلهى وانشغل بأمور زائلة لا يمكن الاعتماد عليها في الشدائد إذ يمكن أن تخرج من يد الإنسان بين عشية وضحاها.

٢ ـ لا يمكن للإنسان اصطحاب شيء منها إلى حياته الآخرة والدائمة. قال (سبحانه وتعالى): ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٣٣٩.

(٢) سورة الشعراء: ٨٩.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنْ اللهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[١].

٣ ـ إن الالتهاء بالأموال والأولاد يسبب اشتغال القلب بها ومن ثم الإعراض عن التوجه إلى الله عز وجل مما يؤدي بالإنسان إلى الخسارة العظمى.

٤ ـ إن الذي يلتهي بالأموال والأولاد سوف يخسر معطيات الإنفاق من الطهارة والتزكية الروحية والكرامة في المجتمع في الدنيا أما في الآخرة فالخسارة أكبر وأبقى.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ ولم يقل: مما رزقتم؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أن الذي في يد الإنسان هو من الله (سبحانه وتعالى) وقد كان بيد أناس آخرين بالأمس ثم جعلت في يده، وسوف يتركها للقادمين أيضاً شاء أم أبى حيث لو دامت لغيره لما وصلت له.

وإن البخل بالأموال سبيل إلى جذب وجمع جميع المساوئ والرذائل، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «البخل جامع لمساوئ العيوب»[٢].

لذا فإن قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ للإشعار بأن أمره هذا ليس سؤالاً للإنفاق لما يملكونه دونه، بل إنما هو شيء هو معطيه لهم ورزق هو رازقه إياهم، فله المنّة عليهم في كل حال، وليس لهم كل الفضل لو أنفقوا شيئاً من أموالهم للآخرين[٣].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) تفسير الميزان: الآية (مع تصرف).

۞ قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ..﴾

(س) ما علاقة التذكير بالموت مع الأمر بالإنفاق في سبيل الله؟

(ج) هناك علاقة طردية بين تذكر الموت وبين الإنفاق في سبيل الله عز وجل والرغبة في الدنيا بصورة عامة فكلما أكثر المؤمن من ذكر الموت كلما ازدادت رغبته إلى الحياة الأخرى الخالدة، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من أكثر من ذكر الموت، قلّت في الدنيا رغبته».

وعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا من ذكر هادم اللّذات، فقيل: يا رسول الله فما هادم اللذات؟ قال الموت، فإن أكيس المؤمنين أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً»[2].

(س) كيف يمكن للإنسان النجاة من الاغترار بزينة الحياة الدنيا وعدم الانشغال بها كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ...﴾.

(ج) بالإنفاق في سبيل الله عز وجل مما أعطي له، سواءاً كان مالاً أو جاهاً أو علماً أو جسداً أو غير ذلك من الأمور، كما قال تعالى: ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ حيث يشمل جميع أنواع الإنفاق سواءاً كان واجباً أو مستحباً.

---

(١) ميزان الحكمة: ج٩ ص٢٤٦.

(٢) المصدر.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من جمع المال لينتفع به الناس أطاعوه ومن جمعه لنفسه أضاعوه»[١].

۞ قال تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

(س) ما مقدار الوقت الذي يطلبه المغتر بالدنيا حتى يعود إلى رشده وصوابه بزعمه؟

(ج) إن تقييد الأجل بالقريب يشعر بأنَّ المقصر قانع بالقليل من المدة حتى لو كانت دقائق معدودة لكي يتمكن فيها من الإنفاق مما عنده في سبيل الله تعالى أو من إنفاق ما عنده كله والتوبة إلى الله عزَّ وجلَّ.

(س) كيف جزم الذي حضره الموت بأنه لو أعيد إلى الدنيا سوف يكون من الصالحين عند تصدقه وإنفاقه في سبيل الله؟

(ج) يعرف الإنسان بعد توسع منافذ المعرفة عنده بأن الأخذ بأوامر الله (سبحانه وتعالى) هو السبيل الوحيد إلى الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وتتوسع منافذ المعرفة لدى الإنسان عند إزالة الأغطية والحجب المادية عن عقله وقلبه، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الناسُ نيام إذا ماتُوا انتبهوا».

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢].

---

(١) غرر الحكم.

(٢) سورة ق: ٢٢.

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «المال يكرم صاحبه ما بذل ويهينه ما بخل».

وقال عليه السلام: «المال وبال على صاحبه إلا ما قدَّم منه»[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لترد طلبهم في تأخير الأجل بعد حلوله والموت بعد نزوله وظهور آيات الآخرة[٢].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣].

(س) هل الجميع يطلب الرجوع إلى الدنيا أم البعض؟

(ج) لعل المؤمن يطلب الرجوع أيضاً وذلك للتزود بالصالحات بشكل أكثر وأفضل أما بالنسبة للكافر والفاسق فيطلبون الرجوع لأجل استدراك ما فات وإصلاح ما صدر من تقصير.

في المجمع عن ابن عباس قال: «ما من أحد يموت وكان له مال فلم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت»[٤].

---

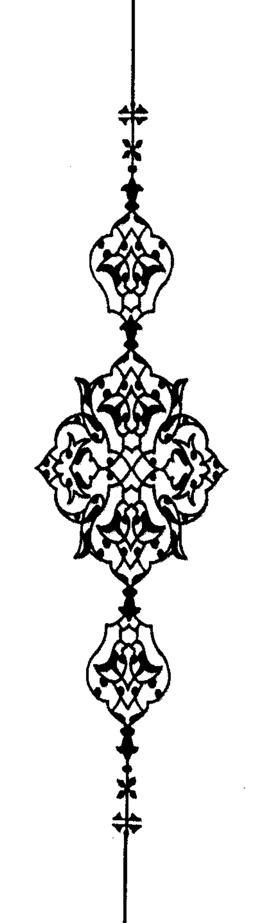
(١) غرر الحكم.

(٢) الميزان: الآية.

(٣) سورة الأعراف: ٣٤.

(٤) الميزان: ج١٩ ص٢٩٢.





سورة التغابن

سورة التغابن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم
مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّٱسْتَغْنَى
ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ
فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

فضلها:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة التغابن في فريضة كانت شفيعةً له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها، ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة»[1].

مفردات السورة:

صوركم: التصوير إعطاء الصورة وصورة الشيء قوامه ونحو وجوده.

العفو: ترك المعاقبة.

الصفح: ترك التثريب وهو أبلغ من العفو.

الوبال: السوء.

زعم: حكايةُ قولٍ يكون مظنةً للكذب، ولهذا ذكرت في القرآن في كل موضع ذم القائِلُونَ به[2].

التغابن: الغبن هو أن تبخس صاحِبكَ في معاملة بينك وبينه، بضرب من الخفاء، ويكون في المال وفي الرأي أيضاً.

الشُّح: بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة، قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾[3].

موضوع السورة:

١ ـ ابتدأت السورة ببيان بعض صفات الله الحسنى المتصلة بجلاله وقدرته وعلمه وخلقه الإنسان الذي يؤول أمره إلى أحد قسمين: مؤمن وكافر. وبالرغم

---

(١) ثواب الأعمال: ص٢١٠.

(٢) مفردات الراغب ص٣٨٠.

(٣) سورة النساء: ١٢٨.

من أن السورة مدنية ولكنها اهتمت خلافاً للمعتاد بأمور عقائدية.

٢ ـ تدعو السورة الناس إلى ملاحظة أعمالهم ظاهراً وباطناً وأن لا يغفلوا عن مصير الأقوام السابقين.

٣ ـ تحدثت عن المعاد ووصفت يوم القيامة بأنه يوم يظهر فيه التغابن الكبير، حيث يواجه الكفار الخسارة الفادحة، بينما يفوز المؤمنون بجنان النعيم والفضل الكبير.

٤ـ يأمر الله (سبحانه وتعالى) بطاعته وطاعة رسوله ﷺ والإنفاق في سبيله.

٥ ـ يحذر الله المؤمنين من الانخداع بالأموال والأولاد والأزواج، ويختم السورة بذكر صفاته عز وجل[1].

الأسئلة والأجوبة:

❁ **قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

(س) ما وجه تعلق السورة بالتي قبلها وهي سورة المنافقون؟

(ج) ١ ـ إن سورة المنافقون تحدثت حول المنافقين الكاذبين، بينما سورة التغابن تتحدث حول الموافقين الصادقين.

٢ ـ إن السورة السابقة أشارت إلى بطالة أهل النفاق سراً وعلانيةً ثم جاء في هذه السورة التهديد البالغ لهم، وهو قوله تعالى: **﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[2].

(س) ما وجه اتصال الآية بالآية الأخيرة من السورة السابقة؟

---

(١) تفسير الأمثل: (مع تصرف).

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٠.

(ج) جاء في الآية الأخيرة من سورة المنافقين تنبيه على الذكر والشكر لله (عز وجل)، ثم جاءت الآية الأولى من هذه السورة لتقول: إن أعرضوا عن الذكر والشكر، فلنا من الخلق قوم يواظبون على الذكر والشكر دائماً، وهم الذين يسبحون، فقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[١].

(س) لماذا قال تعالى في هذه السورة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ بينما قال في سورة الحديد والحشر والصف ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ..﴾؟

(ج) إن لفظة ﴿يُسَبِّحُ﴾ تدل على الحال والمستقبل، بينما ﴿سَبَّحَ﴾ تدل على الماضي، فجاءت اللفظة بصيغتين وذلك للإشارة إلى أن تسبيح مخلوقات الله تعالى غير مختص بوقت دون وقت، بل هي كانت مسبحة أبداً في الماضي، وتكون مسبحة أبداً في المستقبل أيضاً[٢].

(س) قال تعالى في موضع ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ وفي موضع آخر قال ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فما هي الحكمة في ذلك؟

(ج) لابد من وجود الحكمة في ذلك، ونحن لا نعلمها كما هي، ولكن ما يخطر في البال أن الآية الأولى فيها من المبالغة في الأمر ما ليس في القول الآخر[٣].

(س) ما الحكمة من تكرار ذكر آية التسبيح في القرآن الكريم؟

(ج) ١ ـ في الآيات هذه دعوة للإنسان الذي هو سيد المخلوقات بأن يجعل

---

(١) المصدر.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٠٦.

(٣) المصدر السابق (مع تصرف).

حاله كسائر المخلوقات في التسبيح والتعظيم لله (سبحانه وتعالى)، فمن الشاذ والبعيد من الإنسان أن يكون أقل شأناً من الجمادات والحيوانات التي لا تنقطع عن ذكر الله (سبحانه وتعالى) أبداً. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

٢ ـ تُذَكِّرُ آيات التسبيح المؤمن ب أن الخليقة جميعها وكذلك السنن الحاكمة واقفة معه في مسيرته الصالحة في الحياة، وهذا مما يجعل اتباع الحق سهلاً ميسوراً واتباع الباطل عسيراً.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ومن ضاق به العدل فالجورُ عليه أضيق»[2].

❁ **قال تعالى: ﴿لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

(س) لماذا تكررت هذه المضامين في القرآن الكريم؟

(ج) تكررت لأهميتها ودورها الكبير في حياة الإنسان، فالكثير من الناس يدعون الملك والعظمة والقدرة، ولكن ما قيمة هذه الأمور بالنسبة إلى ملك الله (سبحانه وتعالى) وقدرته، وإذا ملك الإنسان شيئاً فإنما يملكه بتمليك الله له. قال عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[3]. وإن الإيمان بقدرة الله عز وجل المطلقة، يسهِّل عند الإنسان التصديق بحقيقة البعث والجزاء[4].

---

(١) سورة النور: ٤٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص١١٦.

(٣) سورة الحجر: ٢١.

(٤) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

❁ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(س) لماذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾ في حين يعرف الجميع بأن الذي خلق الإنسان والكون هو الله (سبحانه وتعالى) قال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾؟

(ج) يعرف الجميع بأن الله (سبحانه وتعالى) هو الخالق وذلك عن طريق الفطرة والعقل وسائر الدلائل الأخرى، ولكن هل تأكدت هذه المعرفة في القلوب والأعمال، بلى هناك القليل من الناس ممكن أكد هذه المعرفة قولاً وعملاً وثبت في جميع المواقف والمواطن دون أن يتنازل عنها، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾، بينما نسي الكثير ربه عندما تراءت له الأهواء والشهوات، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1].

(س) لماذا تقدم ذكر الكافر على المؤمن في الآية المباركة؟

(ج) تقدم ذكر الكفار وذلك لكثرتهم وغلبتهم، وفي الآية إشارة إلى بيان حال أكثر الناس حيث إنهم اختاروا الطريق المؤدي بهم إلى العذاب الأليم ثم الجحيم بعد أن أصبحوا أخس حالاً من الأنعام قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[2].

(س) لماذا خلق الله (سبحانه وتعالى) الكفار وهو يعلم بأنه إذا خلقهم لم

---

(١) سورة يوسف: ١٠٦.

(٢) سورة الفرقان: ٤٤.

يفعلوا إلا الكفر والإصرار عليه فما الحكمة من ذلك؟

(ج) ١ ـ إذا علمنا بأن الله (سبحانه وتعالى) حكيم، علمنا أن أفعاله كلها على وفق الحكمة، منها خلقه للكفار، ولا يلزم من عدم علمنا بحكمة ذلك أن لا يخلقهم[١]، قال تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

٢ ـ ربنا (سبحانه وتعالى) لم يجبر أحداً على الكفر والضلال، بل يوضح للجميع طريق الإيمان والصلاح ويدعوهم إلى ذلك حتى آخر لحظة من حياتهم. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢].

٣ ـ يؤكد قوله تعالى ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أنَّ الإنسان حر في اختيار مسيره ومصيره وليس هناك من يقيد حركته وأعماله.

❁ قال تعالى: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(س) ما فائدة مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتبين عدة أمور منها:

١ ـ إن عمل الإنسان هو الذي يحدد مصيره، وليس لونه أو جنسيته أو والده ولا أي شيء آخر.

٢ ـ في الآية إشارة وخطاب للإنسان بأن الإمكانيات التي بين يديك ليست أزلية ودائمة بل لها مدة معينة، ثم يأتي دور تقديم النتائج على الأعمال.

٣ ـ تقول الآية المباركة بأن الله (سبحانه وتعالى) ليس بعيداً أو غافلاً عن عباده، إنما هو معهم أينما حلوا وارتحلوا.

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) سورة الشمس: ٧ ـ ١٠.

٤ ـ تشير الآية إلى ضرورة مجيء يوم الحساب وذلك لاختلاف الأعمال الصادرة من الخلق كما قال (عز وجل) ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[١].

❁ قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ﴾

(س) ما هو المراد من الحق في قوله عز وجل؟

(ج) الحق هو خلاف الباطل، وهو خلقها من غير غاية ثابتة ومفيدة[٢].

قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾[٣].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاّ بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

❁ قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

(س) ما هو المراد من تصوير الإنسان بأحسن صورة؟

(ج) المراد من التصوير هو إعطاء الصورة، وصورة الشيء قوامه ونحو وجوده كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٥]. وحسن الصورة هو تناسب تجهيزات المخلوقات بعضها مع بعض والمجموع لغاية وجودها، وليس المراد من الحسن هو جمال الشكل والمنظر، بل الحسن العام الساري في الأشياء، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

(٢) الميزان: الآية.

(٣) سورة الأنبياء: ١٧.

(٤) سورة الدخان: ٣٩.

(٥) سورة التين: ٤.

﴿خَلَقَهُ﴾[١] [٢].

(س) لماذا الإشارة إلى موضوع الحسن العام للمخلوقات؟

(ج) لعل اختصاص حسن الصورة بالذكر للتنبيه على أنها ملائمة للغاية التي خلقت لأجلها وهو الرجوع إلى الله (سبحانه وتعالى) فقوله تعالى ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ جاءت لإثبات المعاد ولهذا قال بعدها ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣].

(س) كيف قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ ومن الناس من هو مشوه الصورة قبيح المنظر وبعضهم غير متوازن الخلقة؟

(ج) لا سماحة ولا تشويه في الخلقة، إذ إن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها لا يعني أنها خارجة من دائرة الحسن، بل داخلةٌ في حيزه وحدوده[٤].

(س) هل إن قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ يشير إلى المحتوى الداخلي للإنسان كما أنها تشير إلى حسن ظاهره؟

(ج) لاشك أن الآية تشير إلى هذا الأمر أيضاً، فكما أن الإنسان والمخلوقات الأخرى خُلق بأحسن صورة، فأن محتواها الداخلي أيضاً خُلق بأحسن هيئة وتركيب، لأن الجميع خلق لأجل هدف كبير وهو التوجه والوصول إلى يوم الجزاء والحساب، ولا شك أن المحتوى الداخلي للمخلوقات ومنها الإنسان

---

(١) سورة السجدة: ٧.

(٢) الميزان: الآية، من (هدى القرآن) الآية.

(٣) الميزان: الآية (مع تصرف).

(٤) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٢ (مع تصرف).

خلقت في غاية الدقة والكمال، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم»[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

(س) الآية المباركة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ توهم الانتقال من جانب إلى جانب حيث أن ظاهر القول يشير إلى هذا فكيف يمكن فهمه؟

(ج) إن الوهم إنما يحصل فينا وإلى زماننا، لا بالنسبة إلى ما يكون في نفس الأمر، أن مصير الخلق بيد الله (سبحانه وتعالى) دائماً وأبداً، ليس في الآخرة فقط، لذا فإن الأمر بمعزل عن حقيقة الانتقال من جانب إلى آخر، لأن المنتقل إليه منزه عن الجانب والجهة[٢].

❁ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

(س) ما أهمية الإشارة إلى هذا العلم؟

(ج) ١ ـ إن التأكيد على علم الله (سبحانه وتعالى) المحيط بحياة الإنسان، مرتبط بمنهج الإسلام التربوي، القائم على أساس زرع الوازع الديني في نفوس المؤمنين، الذي يدعو إلى التوجه إلى الواجبات وترك المحرمات.

٢ ـ إنَّ الجزاء الإلهي غير منحصر بما يصدر من الإنسان من أفعال وأقوال بل يمتد إلى النوايا والخفايا القلبية أيضاً، قال عليه السلام: «نية المرء خير من عمله»[٣].

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(٢) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

(٣) من هدي القرآن: الآية.

ولهذا قالت الآية المباركة: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

❁ قال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ...﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآيات السابقة تحدثت حول تسبيح الكائنات لله (سبحانه وتعالى) بشكل دائم ومستمر دون أن يعتريها ملل أو توقف، وتحدثت حول تقسيم الناس إلى فريقين مؤمنين وكفار، ثم جاء قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ...﴾ لتحث الناس إلى النظر في عاقبة الذين طغوا وعصوا واستكبروا هل استطاعوا دفع العذاب والبلاء الإلهي الذي نزل عليهم وهل استطاعوا الإفلات من قبضة الله «تبارك وتعالى»، إذاً فالآية إحدى الآيات الكاشفة لحقيقة كون المصائر بيد الله عز وجل وإن الجزاء أمر لا بد منه.

(س) ما فائدة النظر إلى حياة الماضي؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «السعيد من اتعظ بتجارب غيره»، إذاً النظر إلى حياة الماضين أحد العوامل المهمة في تربية الإنسان وتعليمه، وسوقه نحو الخير والصلاح. قال عز وجل: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ❖ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ❖ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ❖ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ❖ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ❖ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ❖ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ❖ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ❖ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾**[1].

---

(١) سورة الفجر: ٦ ـ ١٤.

۞ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ..﴾

(س) هل جاءت أخبار السابقين إلى الناس، لكي تحمل الآية المباركة هذا الاستفهام والمضمون؟ وكم من إنسان هو غافل عن حياة الحاضرين ناهيك عن الماضين؟

(ج) إن النظر إلى حياة الماضين من الأمور البديهية والفطرية في الإنسان حيث تتوق النفس الإنسانية بصورة دائمة إلى معرفة شيء من حياة السابقين له، لكي يتعرف من خلال هذه النظرة على طعم حياته ووضعه المعيشي ويتذوقه، فيمر الإنسان على الكثير من العبر والمواقف التي تدعو إلى التأمل والاتعاظ ولكن «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار» كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال الله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿..فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(س) لماذا قال عز وجل: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ...﴾ ولم يقل مثلاً: فلاقوا جزاء كفرهم؟

(ج) إن كلمة الذوق تستعمل في القليل، كما يذوق الإنسان الطعام دون أن يأكل منه، وهكذا فإن العذاب الذي يصب على الكافرين في الدنيا شيء قليل بالنسبة للعذاب الذي أُعِدَّ لهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٥.

❁ قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(س) لماذا وصف الله (سبحانه وتعالى) عذاب الآخرة بأنه أليم، وأنه لا شك سيكون كذلك؟

(ج) ١ ـ لنسف الادعاء الذي يطرأ في أذهان الكثير من الناس، بأنه لا يوجد عذاب في الآخرة إنما يجازي المسيء على أعماله في الدنيا فقط، وذلك لأن الله تعالى أرحم الراحمين ولا يحتاج إلى عقوبة المذنبين، فجاءت الآية المباركة لتقول: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وليس كما تظنون.

٢ ـ لنسف الادعاء الذي يزعم به البعض بأن الإنسان سوف لا يشعر بحرارة النار يوم القيامة، ومثالهم على ذلك بعض الحشرات التي تعيش في النار ولا تتأثر بها وهو زعم عليل خالٍ من الصحة والدليل[١].

❁ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا..﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتبين سبب كفر الأقوام السابقين وهلاكهم حيث إنهم كفروا برسالات المرسلين وبعدها أنكروا البعث والمعاد[٢].

(س) لماذا لم يأتِ حرف عطف في بداية الآية؟

(ج) جيء بالفصل دون العطف، كأنه جواب لسؤال مقدر، كأن سائلاً يسأل فيقول: لم أصابهم العذاب؟ فيكون الجواب الآية[٣].

---

(١) من هدي القرآن: الآية(مع تصرف).

(٢) الميزان: الآية.

(٣) المصدر.

(س) لماذا كانت المجتمعات السابقة ترفض بينات الله عز وجل لبشرية الرسل؟

(ج) إنه العذر الأفضل والسهل الذي يجدونه أمامهم فيتشبثون به لأجل رفض الخضوع لأوامر الله عز وجل ونواهيه، وذلك أنهم لم يجدوا ثغرة في رسالات الله عز وجل ولا في أخلاق الرسل وسلوكياتهم، لكي يعيبوا ذلك ويتمسكوا به في رفض الحق، فلهذا تمسكوا بهذا العذر العليل بأنه لا بد أن لا يكون رسل الله بشراً مثلنا حيث لا يصح الخضوع للإنسان، بل الخضوع والعبادة لله فقط، وهذا ما يقوله الكثير اليوم أيضاً، يقولون بأن النبي ﷺ قد أدى مهمته ومات وانتهى أمره فلا يصح إحياء ذكره والارتباط به.

(س) لماذا لا يكون رسل الله من غير جنس البشر، كأن يكونوا ملائكة أو جناً مثلاً، لكي تنقطع حجة المحتجين؟

(ج) ١ ـ لو كان رسل الله عز وجل ملائكة أو جناً لكان الاحتجاج باقياً وقائماً على حاله، بل سوف يكون أكثر من الأول بكثير، قال عز وجل: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً. قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خبيراً بَصِيراً**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾[2].

٢ ـ أن يكون الرسل من البشر أبلغ في التأثير على الناس من أن يكونوا ملائكة، حيث إنهم بهذه الصورة سوف لن يسمعوا كلام الملائكة أبداً بل

---

(١) سورة الإسراء: ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) سورة الأنعام: ٩.

سيستغربون منهم.

٣ ـ أولم يكن النبي محمد ﷺ هو الصادق الأمين قبل بعثته المباركة أو لم تلتجئ قريش إليه في كل صغيرة وكبيرة لحلها، فلماذا لم يؤمنوا به؟ ولماذا نفوا عنه الصفات الجليلة التي كانوا يصفونه بها من قبل؟ نعم لم يكن السبب إلاّ أنه ﷺ دعاهم إلى عبادة الله (سبحانه وتعالى) وحده لا شريك له ورفض عبادة الأصنام. قال تعالى: ﴿**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاء أَنْشَرَهُ * كَلاَّ لمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ**﴾[1].

إذاً، فالناس الذين يعرفون الرسول ﷺ حق المعرفة لم يقبلوا بكلامه، فكيف بعد هذا إذا كان الرسول من غير جنس البشر كأن يكون من الملائكة أو الجن أو غير ذلك؟

(س) لماذا قال تعالى: ﴿**كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ**﴾ وهو يدل على الاستمرار، بينما رد فعلهم أشار إليه بصيغة الماضي حيث قال: فَقَالُوا.. وَكَفَرُوا.. وَتَوَلَّوْا..؟

(ج) ١ ـ إن التعبير بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار يشير إلى أن رسل الله (سبحانه وتعالى) كانت تأتيهم على الدوام وبدون انقطاع وذلك لهدايتهم إلى حيث النجاة والخير والأمان قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[2]، وإنَّه تعالى تعهد على نفسه بهداية الخلق إلى الخير بكل الطرق والأساليب لكي لا تبقى لهم حجة بعدها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**﴾.

٢ ـ إنه أشار إلى رد فعلهم بالماضي وذلك للإشارة إلى وحدة موقفهم

---

(١) سورة عبس: ١٧ ـ ٢٣.

(٢) سورة القصص: ٥١.

الصارم والثابت إزاء الحق وهو الكفر والعناد، فالآية كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾

(س) بأي شيء كفروا؟ وإلى أين تولوا؟

(ج) كفروا بالرسول وبالرسالة إذ لم يجعلوا لهما محلاً في قلوبهم وأعمالهم، وقابلوهما بالإنكار الكامل، ولكونهم لا يستطيعون العيش في فراغ تام ذهبوا إلى حيث الانحراف والتخبط في الظلمات والمسيرة العوجاء قال تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾.

(س) ما هو الفرق بين الكفر والتولي؟

(ج) قد يكون الكفر هو الموقف النفسي من الحق، والتولي هو الموقف العملي والسياسي الباطل والبعيد عما يريده الله من عباده[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْنَى اللهُ﴾

(س) هل كان الله (سبحانه وتعالى) يحتاجهم لكي يستغني عنهم بعد إعراضهم؟

(ج) ١ ـ يظن الكثير بأن ما عنده من العلم والقدرة المالية دائمة وباقية لا فناء لها، وأن وجوده أمر مهم للآخرين، كما قال عز وجل عن قائلهم: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف: ١٠١.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(٣) سورة الكهف: ٣٥.

فلما يهلك الله (سبحانه وتعالى) أمثال هؤلاء على الدوام، يظهر بذلك عدم احتياجه لهم أبداً، ليست قيمة الإنسان بما يملك من متاع الدنيا وإنما بما يملك من نفس كبيرة تحب الخير للآخرين، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «قيمة المرء ما يحسنه».

٢ ـ يتصور البعض بأن له على الله كرامة، لذا من الواجب عليه أن يكرمه ويسعده كيفما كان وأينما حل، وأنه تعالى يحتاج إلى إسعاده والإحسان إليه، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾[١] [٢].

٣ ـ قيل: إنه تعالى كان يريد أن يُظهر دينه ورسوله بهم، فلما كفروا استغنى الله عنهم، فنصر دينه بغيرهم من الناس والملائكة[٣] كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ..﴾.

٤ ـ قال صاحب الكشاف: إنه ظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك[٤].

(س) كيف يتوضح لنا استغناء الله (سبحانه وتعالى) عن الكافرين؟

(ج) ١ ـ إهلاكه تعالى لهم وإنزال العذاب عليهم إظهار منه لغناه عن وجودهم، ولهذا قال تعالى: ﴿...فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) سورة حم السجدة: ٥٠.

(٢) الميزان: ج١٩ ص٢٩٨.

(٣) من هدي القرآن: الآية

(٤) التفسير الكبير: الآية

٢ ـ ويتبين استغناؤه تعالى عن الكافرين وذلك عن طريق قطع حبل رحمته عنهم وإنزال العقوبات عليهم، قال عز وجل: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

❁ قال تعالى: ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

(س) لماذا أضافت الآية المباركة صفة الحميد لله (سبحانه وتعالى) إلى جانب صفة الغنى؟

(ج) أضيفت صفة الحميد إلى جانب الغني، وذلك لأنه ليس كل غني حميد، هناك الكثير ممن حصل على شيء من حطام الدنيا ولكنه فقد توازنه وعقله في كيفية التعامل معها. حيث صار خاضعاً لها، بدل أن تكون الأموال خاضعة له.

(س) لماذا جاء التأكيد على مسألة غنى (غَناء) الله (سبحانه وتعالى) في الكثير من الآيات القرآنية؟

(ج) لعله جاء لأجل علاج عقبة نفسية تراود الكثير عندما تعرض عليهم الأوامر والواجبات الإلهية، حيث يشعرون بالغنى عنها وعن الالتزام بها من جهة، ومن جهة أخرى حاجة الله ورسوله إليهم[1]، كما قال بعضهم ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [2].

❁ قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ..﴾

(س) لماذا ابتدأت الآية المباركة بكلمة ﴿زَعَمَ..﴾ ولم تبدأ بـ: قال الذين كفروا.؟

---

(١) من هدي القرآن: الآية

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

(ج) الزعم هو مجرد الادعاء بالعلم الخالي من اليقين والصدق، حيث: قيل لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا[١]، وبما أن الكفار لا يملكون دليلاً لنفي الآخرة، لهذا يؤكدون كلامهم الباطل بالكثير من التأكيدات للوصول إلى نتيجة، ولكنهم لا يصلون إلى شيء من ذلك.

(س) لماذا يؤكد الكفار على مسألة عدم البعث بعد هذه الحياة؟

(ج) ١ ـ إنها الورقة الصفراء الوحيدة التي يتمسكون بها لتبرير واقعهم المرير والفاسد.

٢ ـ ليتمكنوا من خلال ذلك من التخبط الكامل في هذه الحياة كيفما تدعو إليه أنفسهم الأمارة بالسوء قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ❖ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ❖ بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[٢].

٣ ـ لإنكار الرسالة بشكل كامل، حيث لا يبقى مع رفض المعاد أي أثر للدين المبني على الأمر والنهي والحساب والجزاء، فإنكار المعاد هو تعليل لإنكار الرسالة والرسل وما يحملون من تبليغ وإنذار[٣].

۞ قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾

(س) كيف يفيد القسم من النبي ﷺ على وجود الآخرة وهم قد أنكروا رسالته؟

(ج) إنهم وإن أنكروا رسالته، لكنهم يعتقدون بأنه ﷺ يعتقد بربه اعتقاداً لا مزيد عليه، فيعلمون أنه لا يُقدم على القسم بربه إلا وأن يكون صدق هذا

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) سورة القيامة: ٣ـ ٥ .

(٣) الميزان: ج١٩ ص٢٩٩.

الإخبار أظهر من الشمس عنده وفي اعتقاده، فالفائدة في الأخبار مع القسم ليس إلا هذا، ثم إنه أكد الخبر باللام والنون فكأنه قسم بعد قسم[١].

(س) لماذا هذه التأكيدات في الآية المباركة؟

(ج) أمر النبي ﷺ أن يواجه زعمهم ﴿أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ بإثباته بأصناف التأكيد بالقسم واللام والنون، حيث إنهم أظهروا زعمهم بنوع من التأكيد، فلهذا لابد أن يواجه بتأكيدات في الكلام أقوى منه، هذا بالإضافة إلى وجوب اتخاذ الموقف الصارم والمضاد لهم قولاً وعملاً، حيث إن «قل» هنا لا تشير إلى الكلام فقط.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

❁ **قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ..﴾**

(س) لماذا جاء القسم بـ ﴿وَرَبِّي﴾ ولم يقل تعالى: قل بلى والله؟

(ج) إن القسم بـ﴿وَرَبِّي﴾ بحد ذاته إشارة لطيفة إلى الدليل على المعاد، حيث إن العقل والفطرة تدعوان إلى أن الربوبية المطلقة لله عز وجل لجميع المخلوقات وهي في كمال الدقة والعظمة لابد أن يكون لها غاية ونهاية تكاملية خالية من العبثية، بأن لا تنحصر في حدود هذه الدنيا الدنية[٣].

(س) ما هي الغاية من بعث الإنسان بعد هذه الحياة؟

(ج) قال عز وجل: ﴿..ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾، إنه يوم الإخبار بما قدم

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٤.

(٢) سورة الصف: ٢ ـ ٣.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٣٥٢ (مع تصرف).

الإنسان من أعمال ومن ثم الجزاء عليها. قال تعالى: ﴿وَمَا تجْزَوْنَ إلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) عندما أشارت الآية السابقة إلى حتمية مجيء يوم الحساب وإنه يوم لابد من وقوعه، فلذا فلكي يَتَجَنَّبَ الناسُ وبال أمرهم في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ويحصلوا على الحياة السعيدة الكبرى، رسم القرآن الكريم الطريق الواضح الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة فقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ...﴾[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿..وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ ولم يقل: والنور الذي أنزل؟

(ج) إن قوله: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ فيه شهادة منه تعالى على أن القرآن كتاب سماوي نازل من عنده تعالى، بينما القول: والنور الذي أنزل هو إخبار، ولا شك أن الشهادة آكد من الأخبار، وفيه إتمام للحجة.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ ولم يقل: ونوره الذي أنزلنا والقرآن كلامه ومضافٌ إليه؟

(ج) إن الألف واللام في (النور) هي بمعنى الإضافة كأنه قال: ورسوله

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

ونوره الذي أنزلنا[1].

(س) كيف دعت الآيةُ الكفارَ إلى الإيمان بالقرآن وهم ينكرونه؟

(ج) إن إنكارهم له باطل ولا قيمة له، وذلك لأن القرآن تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فليس أمامهم بعد تحديهم وعجزهم، إلا الإيمان به بشكل كاملٍ قال عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُمْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[2].

❁ **قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا..﴾**

(س) لماذا دعت الآية المباركة إلى الإيمان بثلاثة أمور فقط لأجل النجاة يوم القيامة؟

(ج) لا يطلب ربنا (سبحانه وتعالى) من عباده أموراً غير الأمور التي دعت إليها الآية المباركة، حيث إن الإيمان الكامل يرتكز على هذه الأصول الثلاثة وهي «الله» و«الرسول» و«النور» هو القرآن الكريم الذي يضم جميع الأوامر والنواهي الإلهية التي رسمها رب العزة «تبارك وتعالى» لحياة الإنسان لأجل الوصول إلى الحياة الطيبة والمستقيمة[3].

(س) فسرت الكثير من الروايات كلمة الـ «نور» في الآية المباركة، بوجود الإمام المهدي المنتظر عليه السلام فكيف يمكن فهم ذلك؟

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) سورة البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

(ج) قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً.. وإنهما لن يفترقا» يشير الحديث الشريف بأن القرآن الكريم وأهل بيت النبي عليهم السلام قد اشتركوا معاً في الصفات الإلهية الكبرى بشكل كامل، فما هو موجود في القرآن موجود فيهم، فالقرآن محفوظ من الدس وكذلك هم، القرآن باقٍ إلى يوم القيامة وكذلك هم، وبما أنهم أفضل من جَسَّدَ وطَبّقَ أوامر القرآن ونواهيه بصورة كاملة، فلذا فهم القرآن الناطق «وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين» كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام[1]، فمن هنا يمكن أن نطلق عليهم بأنهم نور، كما القرآن نور.

❁ **قال تعالى: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**

(س) ما فائدة مجيء هذا المقطع؟

(ج) جاء قوله تعالى في نهاية الآية المباركة لتأكيد الأمر الذي ابتدأت به فآمنوا، فيكون المعنى: آمنوا وجدوا في إيمانكم فإنه عليم بدقائق أعمالهم لا يغفل عن شيء منها وهو مجازيكم بها لا محالة[2].

❁ **قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾**

(س) لماذا سميت القيامة بيوم الجمع؟

(ج) سمى الله (سبحانه وتعالى) يوم القيامة بيوم الجمع وذلك لرجوع الخلائق كلها إليه واجتماعها بين يديه، قال تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾**[3].

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٣٤١.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

(٣) سورة الكهف: ٩٩.

وقال عز وجل: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[١].

وقال: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٢].

(س) ماذا سيجتمع يوم الجمع؟

(ج) ١ ـ تجتمع أوصال المكلفين بعد أن فرّقها الموت قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً * أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[٣].

٢ ـ يجتمع المؤمنون بعضهم مع بعض والكافرون أيضاً ليساق المؤمنون إلى الجنة والكفار إلى النار، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً..﴾[٤] وقال ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً..﴾[٥].

٣ ـ يجتمع الناس مع الرسل ليشهدوا عليهم وليشفعوا لهم إن استحقوا ذلك، وهكذا يجتمع المؤمنون الصالحون بأئمتهم الطاهرين عليهم السلام ليشفعوا لهم بدخول الجنة[٦].

٤ ـ تجتمع البشرية كلها من آدم عليه السلام حتى آخر مولود آدمي سواء الذين كانوا على هذه الأرض أو الذين في الكواكب الأخرى.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ

(١) سورة الكهف: ٤٧.

(٢) سورة التكوير: ٥.

(٣) سورة مريم: ٦٦ـ ٦٧.

(٤) سورة الزمر: ٧١.

(٥) سورة الزمر: ٧٣.

(٦) من هدي القرآن: ج١٦ ص٢٣ (مع تصرف).

وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[١].

❁ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

(س) لماذا سَمى الله يوم القيامة بيوم التغابن؟

(ج) قيل: إن لكل إنسان منزلين في الآخرة أحدهما في الجنة والآخر في النار فإذا كان الإنسان صالحاً فسوف يُنَعَّم بمنزله الذي أعده الله له في الجنة وسوف يترك منزله الذي في النار لأهلها فهم يرثونه، وأما أهل النار فإنهم سوف يحرمون من منزلهم الذي في الجنة، فيرثها أصحاب الجنة. وذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، عندها يشعر أهل النار بالغبن الكبير لوقوعهم في الخسارة الكبرى بدخول جهنم.

٢ ـ إن الخسارة التي قد يخسرها المؤمنون في الحياة الدنيا عند تعاملهم مع الكفار ليست بشيء أما الخسارة الكبرى التي يخسرها الكفار في الآخرة فذلك هو الغبن الحقيقي الذي جاء لهم نتيجة انحرافهم وكفرهم بالحق والصراط المستقيم[٢].

❁ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

(س) ما سبب مجيء الآيات المباركات؟

---

(١) سورة الشورى: ٢٩.

(٢) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(ج) لما ذكر الله (سبحانه وتعالى) في الآية المتقدمة بأنه سوف يجمع الخلق جميعاً، في يوم الغبن الحقيقي حيث يرى كثير من الخلق الذين ابتعدوا عن الإيمان والعمل الصالح بأنهم قد خسروا خسارة فادحة لا جبران لها، بينما يرى المؤمنون الذين عملوا الصالحات بأنهم قد انتقلوا إلى جنة ورضوان وقد غفرت لهم سيئاتهم بفضل الله ورحمته، فيعرفون بأنهم صاروا إلى النعيم الكبير الذي لا زوال له ولا تغيير، هذا ما جاءت به الآيات لتؤكده.

۞ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...﴾

(س) ما الحكمة من ورود المصائب على الإنسان؟

(ج) بما أن الله (سبحانه وتعالى) خلق العباد لعبادته بقوله عز وجل: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** وأنه تعالى طلب منهم السعي والجد والنشاط لأجل الوصول إلى الكمال والخير كما قال: **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾** فهنا يقع الإنسان في محك إثبات شخصيته ووجوده من خلال تفاعله مع أوامر الله ونواهيه، فما دامت المصائب لا ترد على الإنسان إلا بإذنه وهو العادل الحكيم فلن تكون بلا سبب وحكمة، وقد لا يصل الإنسان إلى معرفة حكمة ذلك بشكل كامل، ولكن من لطفه (تبارك وتعالى) أنَّهُ بَيَّنَ في كتابه الكريم كيف يتخلص الإنسان من المصائب التي ترد عليه، فقال: **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾**.

(س) كيف نجمع بين الآية المباركة **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾** وبين قوله عز وجل **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾**؟

(ج) إن المصائب التي ترد على الإنسان من قبل الله عز وجل يمكن له أن

يتفاعل ويتعايش معها بكل سهولة ويسر فيما إذا عرف ربه حق المعرفة حيث يرى النوازل التي تنزل عليه ليست إلا امتحاناً عابراً سوف يؤجر عليها عن قريب وهذا ما رأيناه من الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، حيث كان يستقبل المصائب الشديدة بقلب كبير مملوء بالحب والمعرفة لله عز وجل، ويقول: «هون ما نزل بي إنه بعين الله»، ولكن المصائب الجانبية التي يراها الإنسان فهي بسبب ابتعاده عن الله عز وجل وليست إلا جزاءً على الذنوب والمعاصي التي يرتكبها، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ فمن هذا الباب قالت الآية المباركة ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[1]

(س) ما المراد من ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ في الآية المباركة؟

(ج) أي بأمر الله، وقيل بتقدير الله، وقيل بإرادة الله ومشيئته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعلمه وقضائه. وبما أنه عادل وحكيم فلا يصدر منه إلا ما هو خير وصلاح للعباد.

❁ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

(س) أو ليس الإنسان مهتدياً إلى الحق بصورة فطرية بقوله عز وجل ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، فما معنى قوله تعالى؟

(ج) لا شك أن الإنسان مهتدٍ إلى الصلاح والإيمان بصورة فطرية، ولكن الهداية التي تشير إليها الآية المباركة هي الهداية المضاعفة الكبيرة التي تأتي بعد بذل الإنسان لسعيه الكبير في السير إلى الله (سبحانه وتعالى) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

---

(١) سورة الشورى: ٣٠.

(س) متى ولأي شيء ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾؟

(ج) عند المصيبة أو عند الموت أو المرض أو الفقر أو غير ذلك، فيعلم أنها من الله تعالى فيسلم لقضاء الله عز وجل ويسترجع[١].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أولئك عليهم صلوات من ربهم... وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٢].

وفي الآية التفاتة لطيفة تتصل بنظرية الجبر، حيث تشير إلى أن الهداية التي هي من الله (سبحانه وتعالى) لا تحصل في الإنسان إلا بعد أن يبذل الأخير جهداً للحصول عليها وهو الإيمان بالله «تعالى» فقالت الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ وهكذا الأمر بالنسبة لجميع الأمور الصالحة والطالحة[٣].

(س) ما فائدة مجيء قوله تعالى: ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟

(ج) جاءت هذه الخاتمة لتبني روح التسليم لقضاء الله عز وجل عند المسلم ولتؤكد له بأن إذن الله عز وجل وتدبيره للأمور ومنها إنزاله بعض الابتلاءات على خلقه مبنية على علمه وحكمته في الأمور وأنه لا يقرر شيئاً بدون حكمة وفائدة[٤].

❁ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾

(س) ما هي مناسبة من مجيء هذه الآية المباركة؟

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) سورة البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٤) المصدر.

(ج) جاءت الآية المباركة لتدعو المكلفين بالتوجه إلى طاعة الله ورسوله من خلال تطبيق الأوامر والانتهاء عن النواهي التي نُهوا عنها وذلك لمواجهة المصائب والابتلاءات التي ترد عليهم، فإذا صاروا في الموقف المطلوب منهم، فإنهم سوف لن يروا أي بأس أو سوء مما ينزل عليهم من بلاء وأذى، وهكذا سوف لا يرون أي مصيبة يكون الإنسان سببها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[١].

(س) لماذا تكررت كلمة «أطِيعُوا» في الآية المباركة، وكان من الممكن أن تأتي مرةً واحدةً؟

(ج) لعل العطف بالواو وحده كما في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ يبين أن طاعة الرسول هي امتداد لطاعة الله عز وجل، بينما العطف بالواو والفعل ﴿وأَطِيعُوا﴾ يؤكد استحالة الفصل بين طاعة الله وطاعة القيادة الرسالية وإن طاعة الله وحدها لا تكفي كما قال البعض «حسبنا كتاب الله» إذ طاعة الرسول واجبة كما إطاعة الله تعالى. وهكذا طاعة امتداد النبي ﷺ واجبة أيضاً فيما أمر، قال النبي الأعظم ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

❁ **قال تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾**

(س) ما وجه اتصال الآية بما تقدم؟

(ج) يحتمل أن تكون الآية نتيجة ما تقدم من الأوصاف الحميدة للباري (جل جلاله) فإن الذي ﴿لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هو

---

(١) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[١].

(س) ما دور التوحيد في إطاعة الله ورسوله ﷺ؟

(ج) للتوحيد دور مهم في سوق الإنسان نحو الطاعة والخضوع لله (سبحانه وتعالى) ولرسوله ولأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فإذا لم تنوجد هذه الصفة في الإنسان فإنه لا شك سوف يقع في أحضان الشرك بالله (سبحانه وتعالى) قلباً وقالباً ومن ثم الوقوع في بوتقة المعاصي والرذائل التي نهى الله (سبحانه وتعالى) ورسوله عنها[٢].

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ..﴾

(س) لماذا توجه الخطاب إلى المؤمنين ولم يتوجه إلى الناس بصورة عامة إذ لم يقل: يا أيها الناس..؟

(ج) إن المؤمن بالذات هو الذي يتحمل مسؤولية التغيير والتفاعل مع أفراد المجتمع نحو الخير والصلاح وهو الذي يواجه الضغوط والتحديات من كل حدب وصوب ولهذا فهو الجدير بالمخاطبة من دون الناس الذين فقد الكثير منهم إنسانيتهم وكرامتهم بسبب اتباع أهوائهم وشهواتهم، قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمْ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٣]. وإن سياق الخطاب بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يفيد التعليل لسبب عداوة بعض الأزواج والأولاد لهم، حيث إنهم يعادونهم لأنهم مؤمنون.

---

(١) المصدر: (مع تصرف).

(٢) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٣) سورة الحجر: ٣.

(س) ما المراد من ﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾ في الآية المباركة؟

(ج) لا تعني كلمة ﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾ النساء فقط، فقد تكون الزوجة مؤمنة ومجاهدة ويكون العدو هو الزوج والأولاد، فالخطاب يمكن أن يكون موجهاً لها كما يمكن أن يكون موجهاً له. فما أروع موقف وهب الأنصاري حينما واجه تثبيط زوجته بكل حزم وصلابة عندما أرادت أن تمنعه من نصرة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن سرعان ما تغير موقف هذه المرأة الطاهرة، فأخذت تحفز زوجها نحو القتال والدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام وعن أهل بيته، فلما سألها وهب عن سبب تغيُّر موقفها، قالت: يا وهب لا تلمني إن واعية الحسين كسرت قلبي[1].

(س) لماذا جاءت كلمة «عَدُوّاً» بشكل مفرد بينما «فَاحْذَرُوهُمْ» بالجمع؟

(ج) إن العدو الواحد المندس بين أفراد العائلة الواحدة قد يؤثر في قرار وحركة جميع أفراد الأسرة، لذا يتوجب على الزوج الحذر من الجميع، لهذا جاءت كلمة العدو بشكل مفرد بينما «فَاحْذَرُوهُمْ» جمع[2].

(س) ما هي بعض الصور والأساليب التي يمكن اتخاذها من قبل الأولاد والأزواج في الضغط على الأب أو الأم؟

(ج) ١ ـ دعوتهما إلى الابتعاد عن الأعمال الصالحة كالإنفاق في سبيل الله (سبحانه وتعالى).

٢ ـ ترك الهجرة من دار الكفر.

٣ ـ دعوتهم إلى ارتكاب المعاصي والآثام والمحرمات وما أكثر ما نراه اليوم

---

(١) المصدر السابق: (مع تصرف).

(٢) المصدر: (مع تصرف).

في العوائل المسلمة.

٤ ـ دعوة الأب إلى اكتساب الأموال من أي طريق كان حتى لو كان حراماً.

(س) كيف يجب مواجهة عداوة الزوجة والأولاد؟

(ج) وذلك بالأخذ بجناح الحيطة والحذر من جانب ومن جانب آخر بجناح العفو والصفح والغفران قال عز وجل: ﴿**وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**﴾ قال عليه السلام: «وذلك أن الرجل كان إذا أراد الهجرة إلى الرسول صلى الله عليه وآله تعلق به ابنه وامرأته، وقالوا: ننشدك الله أن لا تذهب عنا فتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذرهم الله أبناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أما والله لئن لم تهاجروا معي ثم يجمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة لا أنفعكم بشيء أبداً»[1].

❁ **قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

(س) ما هو الفرق بين العفو والصفح والمغفرة؟

(ج) العفو هو صرف النظر في تناول الشيء أو هو ترك العقوبة، والصفح هو ترك التثريب واللوم وهو أبلغ من العفو، حيث قال ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾ حيث قد يعفو الإنسان ولا يصفح. أما المغفرة فهو الستر والتغطية على الماضي[2].

(س) ما سبب مجيء المقطع الشريف؟

---

(١) الكهف: ٤٧.

(٢) تفسير القمي: الآية.

(ج) في المقطع دعوة للمؤمنين إلى كمال الإغماض عن الأولاد والأزواج إذا ظهر منهم شيء من آثار المعاداة المذكورة، مع الحذر من أن يفتتن بهم.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(س) كيف نجمع بين الآية المباركة وبين قوله تعالى في سورة الكهف **﴿المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾**[1]؟

(ج) لا تعارض بين القولين إنهما يشيران إلى أن الإنسان يواجه الامتحان الكبير بأمواله وأولاده، فهل ينقاد لهما أم يجعلهما هما المنقادين له؟! فالواجب على الإنسان أن يحسن التصرف في هذا الشأن بالشكل اللائق والمطلوب، قال (سبحانه وتعالى): **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**[2].

(س) لماذا حصرت الآية الفتنة بالأموال والأولاد بينما يمكن للإنسان أن يفتتن بأمور وشهوات أخرى؟

(ج) إن الأموال والأولاد هما العاملان الأساسيان اللذان يقودان الإنسان إلى الانهماك والدخول في سائر الشهوات الأخرى، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام: «المال مادة الشهوات»، وقال عليه السلام في الولد المنحرف عن الحق: «ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله» إذ هو الذي دفع أباه إلى حب الدنيا والرئاسة وإلى حرب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٨ ص٣٠٧ (مع تصرف).

(٢) سورة الكهف: ٧.

❁ قال تعالى: ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(س) ما أهمية معرفة هذه الحقيقة؟

(ج) لا شك أن إدراك هذه الحقيقة الكبرى قلباً وعملاً له دور كبير في تهذيب الإنسان ودفعه إلى تجاوز الابتلاءات والمحن ومنها الافتتان بالأموال والأولاد، فعندما يعرف الإنسان بأن ما عند الله خير وأبقى وأعظم من متع الدنيا جميعها فإنه سوف يوظف ويسوق نعم الدنيا في الطريق الذي يؤدي إلى مرضاة الله (سبحانه وتعالى)، فلهذا نرى القرآن الكريم يؤكد على هذه الحقيقة بين الآونة والأخرى ليهدي الناس إلى ما هو أفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ❖ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

(س) هل تختلف درجة التقوى من إنسان لآخر؟ ولماذا هذا الاختلاف؟

(ج) حسب الظاهر إن التقوى نعمة من النعم الإلهية الكبرى تعطى للعباد بدرجات مختلفة كما النعم الأخرى، في جميع الأحوال يكون الإنسان المتقي مبتلياً حسب تقواه كما يكون أصحاب النعم الأخرى ممتحنين بنعمهم. ثم إن تقوى العالم تختلف عن تقوى الجاهل، وكذلك تقوى السجين والحر، والمريض والسليم، فكل يمتلك مقداراً من القوة الذاتية إزاء المعاصي والآثام، فلا بد له أن يستخدمها بالشكل الكامل والمطلوب. عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما كلف الله العباد كلفة فعل ولا نهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة ثم أمرهم

---

(١) سورة الإسراء: ٩ ـ ١٠.

ونهاهم»[١].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؟

(ج) لا اختلاف بين القولين، فعندما يتقي العبد ربه بقدر استطاعته يكون قد اتقاه حق تقاته، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا﴾[٢]. ولا يراد به الاتقاء فيما لا يستطيعون لأنه فوق الطاقة والاستطاعة.

۞ قال تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لأَنْفُسِكُمْ﴾

(س) ما علاقة قوله تعالى بما سبق؟

(ج) تشير الآية المباركة إلى البرنامج الذي يتمكن المؤمن من خلاله الوصول إلى التقوى المطلوبة منه بقوله ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وكأنما البرنامج مستند إلى ثلاثة أسس رئيسية وهي السماع والطاعة والإنفاق، فالسماع والطاعة هما الإيمان والعمل الصالح الذي لا ينفك القرآن الكريم من الدعوة إليه بشكل دائم؛ وأما الإنفاق فهو أجلى صور العمل الصالح الذي يمكن أن يدخل في جميع شؤون الحياة للفرد وأجلاها.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْراً لأَنْفُسِكُمْ﴾

(س) كيف يعود الإنفاق بالخير على صاحبه؟

(ج) إن صاحب الثروة لو أنفق شيئاً من ثروته وإمكانياته للآخرين فإنه سوف يرى الخير من عدة وجوه منها:

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٣٤٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

١ ـ أنه يجد راحة النفس والضمير في ذاته من خلال شعوره بعدم ظلم الآخرين واحساسه بأن الآخرين سعداء مثله.

٢ ـ الحصول على المزيد من الإيمان والتقرب إلى الله (جل جلاله) وإلى الناس قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «المال يكرم صاحبه ما بذل ويهينه ما بخل»، وقال عليه السلام: «من جمع المال لينتفع به الناس أطاعوه ومن جمعه لنفسه أضاعوه»[(١)].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(س) ما هو شح النفس؟

(ج) هو وجود بعض الصفات الرذيلة في النفس، من حب الذات وحب الدنيا والبخل والحرص والعنصرية، فإذا انتصر الإنسان على بخل نفسه صار من المصلحين[(٢)]. وفي اللغة أن المراد من الشح هو البخل مع الحرص[(٣)].

(س) كيف يتمكن الإنسان من القضاء على شح نفسه؟

(ج) عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أدى الزكاة فقد وقي شح نفسه»[(٤)] قال أبو قرة: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يطوف من أول الليل إلى الصباح وهو يقول: اللهم قني شح نفسي، فقلت: جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء؟! قال: وأي شيء أشد من شح النفس، وإن الله يقول: **﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[(٥)].

---

(١) غرر الحكم.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(٣) مفردات الراغب: ص٤٤٧

(٤) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٠١

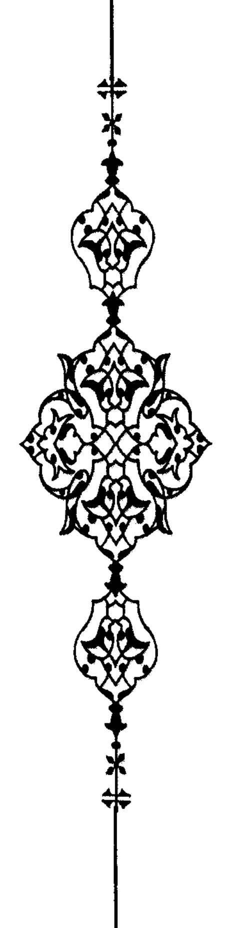
(٥) نور الثقلين: ج٥ ص٣٤٦

۞ قال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ..﴾

(س) ما المراد من القرض في الآية المباركة؟

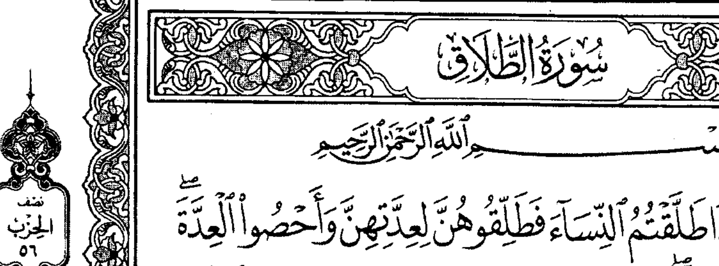
(ج) ١ ـ قيل هو كل إنفاق واجب ومستحب.

٢ ـ قيل هو الدين.



سورة الطلاق





سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن
يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١
فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ
وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ
بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ
مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ
فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ
قَدۡرٗا ٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ
ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ
ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ
يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾
أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟
عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن
قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا
نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ
ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ
بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ
وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ



فضلها:

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من قرأ سورة الطلاق والتحريم في فريضة أعاذه الله من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن، وعوفي من النار، وأدخله الله الجنة بتلاوته إياهما، ومحافظته عليهما؛ لأنهما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

مفردات السورة:

الطلاق: أصله التخلية من الوثاق، يقال أطلقت البعير من عقاله أي سرحته، ومنه استعير: طلقت المرأة أي جعلتها مخلاة عن حبالة النكاح»[2].

العدة: الشيء المعدود، وعدة المرأة هو قعودها عن الزوج حتى تنقضي المدة المترتبة شرعاً.

الإحصاء: العد وهي مأخوذة من الحصى وهو الحجر المعروف.

وجدكم: تمكنكم وقدر غناكم.

عتت: طغت.

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٣٤٦.

(٢) مفردات الراغب: ص٥٢٣ ط ذوي القربى.

نكراً: النكر المنكر الفظيع الذي لم ير مثله.

موضوع السورة:

١ ـ الآيات السبع الأولى تحدثت في موضوع الطلاق وما يرتبط به من أمور وأحكام.

٥ ـ الآيات الخمس الثانية فيها موعظة وإنذار وتبشير تؤكد الوصية بالتمسك بما شرع الله (سبحانه وتعالى) من أحكام ومنها ما يرتبط بالطلاق والعدة وأن القرآن الكريم أكد على هذا الموضوع بشكل كبير وذلك لأهميته وعظمته في المجتمع[١].

ويذكر بأن لهذه السورة اسماً آخر وهو «النساء القصرى» مقابل سورة النساء المعروفة وهي «النساء الكبرى»[٢].

الأسئلة والأجوبة:

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾

(س) ما وجه تعلق السورة بما قبلها؟

(ج) تتعلق السورة بما قبلها من وجهين:

١ ـ إنه قال في أواخر سورة التغابن **﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾**؛ ولما كانت هذه العداوة تؤدي إلى الطلاق، وعداوة الأولاد قد تؤدي إلى القسوة وترك الإنفاق عليهم، لهذا جاءت سورة الطلاق لتؤكد أحكام الطلاق والإنفاق على الأولاد وعلى المطلقات[٣].

---

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٣٢٣.

(٢) تفسير الأمثل: ص٣٦٧.

(٣) التفسير المنير ج٢٨ ص٢٦١.

٢ ـ إنه تعالى أشار في آخر تلك السورة إلى كمال علمه بقوله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾. وفي أول هذه السورة إلى كمال علمه بمصالح النساء وبالأحكام المخصوصة بطلاقهن، فكأنه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات[1].

(س) لماذا توجه الخطاب إلى النبي محمد ﷺ أولاً ثم انتقل إلى الناس؟

(ج) ١ ـ إنه تعالى نادى النبي ﷺ ثم خاطب أمته لما أنه سيدهم وقدوتهم، فإذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في الخطاب[2].

٢ ـ توجه الخطاب أولاً إلى النبي ﷺ بصورة خاصة وذلك باعتباره مسؤولاً عن الأمة وشاهداً عليها، ثم انتقل الخطاب إلى عامة المسلمين بقوله ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ..﴾ وذلك للإشارة إلى وجود الترابط الوثيق بين القيادة الإسلامية العليا وبين الأسرة التي هي أساس بناء المجتمع[3].

(س) لماذا جاءت كلمة ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ بصيغة الماضي، بينما ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ تحمل صفة الحال والمستقبل؟

(ج) اللفظتان المتباينتان تشيران إلى أن للطلاق مرحلتين، مرحلة نفسية أولية، ثم المرحلة القانونية الظاهرية فيما بعد، وكلاهما يجب أن يكونا عند إجراء الحكم الشرعي، بالإضافة إلى ضرورة ذكر صيغة الطلاق من قبل الرجل مع وجود الشاهدين وتوفر الشروط الأخرى[4].

(س) لماذا أجاز الله (سبحانه وتعالى) الطلاق وهو أبغض الحلال عنده؟

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٩.

(٢) المصدر.

(٣) من هدي القرآن: الآية.

(٤) المصدر (مع تصرف).

(ج) أجاز الله (سبحانه وتعالى) الطلاق بين الزوجين لأن الروابط الزوجية في نظر الإسلام إنما وضعت لأهداف فردية وأسرية واجتماعية وحضارية، فإذا أصبحت لا تؤدي هذه الأغراض أو أضرت بها فإن الطلاق هنا يصير الأولى منها[١].

(س) ما هي شروط الطلاق؟

(ج) ١ ـ البلوغ والعقل والاختيار، فلو أجبر شخص على طلاق زوجته كان باطلاً.

٢ ـ أن يكون الزوج قاصداً ذلك، فلو ذكر الزوج صيغة الطلاق مزاحاً لم يصح.

٣ ـ أن تكون الزوجة حين تطليقها طاهرة من الحيض والنفاس، ولم يقربها الزوج في ذلك الطهر. قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا طلاق إلا على طهر من غير جماع»[٢].

٤ ـ أن تعتد الزوجة ثلاثة أشهر، أن تبقى في بيت زوجها هذه المدة لا هو يخرجها ولا هي تخرج، فإذا انقضت هذه المدة ولم يرغبا في الرجوع إلى بعض يقع الطلاق، ولا يجوز لهما الرجوع إلا بعقد جديد.

٥ ـ حضور شاهدي عدل حين الطلاق.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿..إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ولم يقل: إذا أردتم الطلاق؟

(ج) إن ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ تفيد الجزم والاستقرار، أي جزمتم واستقريتم على هذا القرار في أنفسكم وأردتم إيقاعه، بينما جملة أردتم الطلاق لا تفيد بأن القرار قد

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٣٤٧.

حصل في النفس بشكل كامل[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾ ولم يقل الزوجات؟

(ج) لعل كلمة ﴿النِّسَاءَ﴾ تنصرف إلى الزوجات اللاتي تم الدخول بهن، فإن غير المدخول بها ليس لها عدة، لأن الحكمة من العدة عدم الاختلاط في المياه، وهو منتصف مع عدم الدخول[٢].

۞ **قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ..﴾**

(س) ما المراد من ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ..﴾؟

(ج) أي سَرِّحوهنَّ بعد انتهاء عدتهن وهو «ثلاثة قروء ـ أي ثلاثة طهورات متتالية، وذلك بعد أن أجريت صيغة الطلاق مع بداية العدة في وقت كانت فيه المرأة خالية من الدورة الشهرية «الحيض»، ولم يكن الزوج قد اقترب منها أو هي اقتربت منه. والعدة هي قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة شرعاً.

(س) ماذا لو وقع الطلاق في حالة الحيض، أو في حالة ظهر وقد اقترب الزوج من زوجته؟

(ج) لو وقع الطلاق في حالة الحيض فإن بداية زمان العدة تنفصل عن بداية الطلاق، وبداية العدة ستكون بعد الطهارة، وهكذا الأمر لو قاربها زوجها في حالة الطهر، فإن الطلاق لا يقع في مثل هذا الطهر، وذلك لاحتمال انعقاد الحمل في الرحم ـ بسبب المقاربة ـ فإذا أراد الزوج أن يجري صيغة الطلاق فلا بد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من هدي القرآن: ج١٦ ص٥٣.

أن تمر عليها حالة الحيض، ثم يجري الصيغة بعد خلوها منه إلى انتهاء العدة[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ولم يقل... للعدة؟

(ج) لم يقل الله (سبحانه وتعالى) للعدة وذلك لأن النساء يختلفن في ذلك، وكذلك عدة الحامل تختلف عن غير الحامل، قالوا في تفسير كلمة ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي لزمان عدتهن[٢].

(س) ما هي فوائد إحصاء العدة؟

(ج)١ـ ضبط المدة الزمنية التي يحق فيها للزوجة النفقة والسكن على زوجها.

٢ ـ معرفة الزمن الذي يحق للزوج مراجعة زوجته ومنها من الزواج من الآخرين.

٣ ـ ثبوت نسب الولد.

٤ ـ رفع النفقة والسكن عند انتهاء المدة.

قال النبي الأعظم ﷺ: «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة، فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات»[٣].

❁ قال تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾

(س) من الذي يجب أن يحصي العدة؟ ولماذا؟

(ج) لا شك أن الرجال هم المعنيون بوجوب إحصاء العدة، وذلك يعود إليهم، حيث يحق لهم الرجوع ما لم تنتهِ العدة، وينبغي أن يدققوا في ذلك لتعيين تكليفهن، ولكي يعرف الرجل أيضاً متى ينتهي من هذه المسؤولية

---

(١) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

(٢) المصدر السابق: الآية.

(٣) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩.

الشرعية[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ ولم يقل: واحسبوا العدة؟

(ج) إن كلمة الإحصاء مأخوذة من «حصى» وهو الحجر المعروف، حيث كان كثير من الناس يلجؤون في حساب أمورهم الحياتية المختلفة إلى طريقة عد «الحصى» لعدم توافر الوسائل الأخرى وكذا لعدم قدرتهم على القراءة والكتابة[٢].

❁ قال تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾

(س) ما علاقة التقوى بالعدة وإحصائها؟

(ج) للتقوى دور بارز وكبير في عملية إحصاء العدة وإيصالها إلى ما فيه الخير والصلاح لجميع الأطراف، إذ هي التي تمنع الكذب والتلاعب من الدخول في النفس الإنسانية، في الآية تحذير للزوجين من الابتعاد عن التقوى حيث في فترة العدة يمكن للزوج مراجعة زوجته ويمكن الانفصال عنها، فيستطيع من خلال التلاعب بالمدة مضارة زوجته من خلال عدم إعطائها حقها بالشكل المطلوب.

❁ قال تعالى: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ..﴾

(س) ما أهمية هذا الحكم؟

(ج) أمر الله (سبحانه وتعالى) الزوج الذي طلق زوجته بأن لا يخرجها من بيته حتى تنتهي عدة الطلاق، بينما لا يعرف الكثيرون هذا الحكم الإلهي وإذا عرفوه لا يطبقوه، حيث يسمح الرجل لنفسه بإخراج زوجته بمجرد طلاقها..

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٣٦٩ (مع تصرف).

(٢) الأمثل: ج١٨ ص٣٦٩.

هكذا تسمح المرأة لنفسها بالذهاب إلى بيت أبيها، وهذا ما لم يسمح به القرآن الكريم، إذ إنَّ في هذا الحكم فوائد كثيرةً منها:

١ - إنَّ بقاء المرأة في بيت زوجها نوع من الاحترام الكامل لها.

٢ - يهيئ أرضية العودة إلى الحياة الزوجية والانصراف عن الطلاق، بينما عدم الالتزام بهذا الحكم يؤدي إلى الفراق الدائم والطلاق.

٣ - إنَّ بقاء الزوجة في بيت زوجها ﴿وَلا يَخْرُجْنَ﴾ يدعو الزوج إلى أن يعود إلى نفسه وعقله شيئاً ما، ومن ثم الرجوع عن قراره. عن الحبيب المصطفى ﷺ أنه قال: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة»[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ ولم يقل: من بيوتكم؟

(ج) إن قول الرجل لامرأته: أنت طالق لا يخرجها من مسؤوليته، ولا تنتهي حقوقها عليه، فالبيت يبقى بيتها ولا يجوز له إخراجها منه، وكذلك لا يجوز لها الخروج من تحت يده ما دامت العدة لم تنقض وهي ثلاث حيضات، وإن لم تكن تحيض ثلاثة أشهر، وإن كان بها حمل فعدتها إلى حين الوضع.

(س) هل يجوز للمطلقة أن تكتحل وتتجمل؟

(ج) نعم يجوز بل ويستحب ذلك ولكن في بيتها لزوجها فقط لعلها تجذبه لنفسها وتغير من قراره ورأيه. قال الإمام الصادق عليه السلام «المطلقة تكتحل وتختضب وتطّيب وتلبس ما شاءت من الثياب لأن الله عز وجل يقول: ﴿لَعَلَّ

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩.

اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ لعلها أن تقع في نفسه فيراجعها»[١].

❁ **قال تعالى: ﴿لا تخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يخْرُجْنَ إلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾**

(س) ما هي الفاحشة المبينة التي يجوز فيها إخراج المرأة من البيت؟

(ج) كما أنه لا يجوز للرجل إخراج زوجته المطلقة من بيته فكذلك الأمر بالنسبة للزوجة لا يجوز لها الخروج وهي في عدتها إلا لضرورة ظاهرة، فإن خرجت أثمت، ولكن إذا أتت بفاحشة مبينة فيحل للرجل إخراجها والفاحشة المبينة هي:

١ ـ الزنا فتخرج لإقامة الحد عليها. قال تعالى: **﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾**[٢].

٢ ـ قيل هو البذاء على أهلها، روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «الفاحشة أن تؤذي أهل زوجها وتسبهم»[٣].

٣ ـ وقيل: هو النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحول من بيت زوجها.

٤ ـ وعن ابن عباس أنه قال: إن كل معصية لله تعالى ظاهرة فهي فاحشة[٤].

(س) ما هو طلاق السنة وطلاق العدة؟

(ج) طلاق السنة هو الطلاق الذي يكون بين الزوج وزوجته ويمر عليها

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٣٥٢.

(٢) سورة الإسراء: ٣٢.

(٣) نور الثقلين: ج٢ ص٣٥٠.

(٤) مجمع البيان: ج١٠ ص٤٠.

ثلاثة قروء لم يراجعها فيها وعليه نفقتها والسكنى ما دامت في مدتها وهما يتوارثان حتى تنقضي العدة وبعد الانتهاء يكون الزوج خاطباً من الخطاب إن شاءت تزوجته وإن لم تشأ لا تتزوجه وتتزوج غيره. أما طلاق العدة فهو الطلاق الذي يقع ثلاث مرات، حيث يراجع فيها الزوجة. يواقعها ثم يطلقها في طهر ثم يرجع وهكذا حتى تتم الطلقات الثلاث فتبين عنه حتى تنكح زوجاً غيره[1].

❁ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾

(س) كيف قالت الآية المباركة: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بينما نرى العالم اليوم لا يلتفت إلى إقامة حدود الله عز وجل ولا يتصور بأنه قد ظلم نفسه؟

(ج) تعيش البشرية اليوم المأساة والظلم النفسي بأشد صوره بسبب ابتعادها عن الأحكام الإلهية، فهل بقي للمرأة التي هي نصف المجتمع قيمة عندما أصبحت كالدمية يتلاعب الرجال بها كيفما شاؤوا، وهل بقي لها كرامة وعفة بعد أن جردت من ملابسها وأصبحت تستخدم كوسيلة للدعاية والإعلان. لترويج البضائع والمنتجات، وهكذا تستمر المجتمعات في السير نحو هاوية الدمار والضلال والظلم ما دامت لا تحترم قوانين الإسلام العظيم.

❁ قال عز وجل: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾

(س) ما هي الأمور التي يمكن أن تحدث بين الزوجين فيما لو طبقا الأوامر الإلهية بالشكل المطلوب؟

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٨ ص٣١٩ (مع تصرف).

(ج) ١ ـ يمكن أن يتغير الموقف من الطرفين وتعود المياه إلى مجاريها كما في السابق، فإن الأمور بيد الله (سبحانه وتعالى) يبدل فيها كيف يشاء، فلربما أعاد القلوب على بعضها وألفها بعد الفرقة برحمته.

٢ ـ لعل العلاقة تصبح بين الطرفين بشكل أفضل من السابق بكثير، لاسيما بعد أن حصل بين الزوجين نوع من الفراق، عرف الطرفان خلاله قيمة الآخر، فمن هذا لا يمكن نسف وتحريم حكم الطلاق بين الزوجين بشكل كامل، كما ذهب بعضهم.

۞ قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

(س) ما المراد من بلوغ الأجل في قوله تعالى؟

(ج) المراد هو الوصول إلى نهاية المدة، وليس المقصود أن تنتهي العدة تماماً، وإنما أن تشرف على الانتهاء، لأن الرجوع بعد العدة غير جائز إلا أن يكون عن طريق عقد جديد.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**...﴾ ولم يقل فأرجعوهن أو فأبقوهن بمعروف...؟

(ج) ١ ـ إن التعبير بـ فَأَمْسِكُوهُنَّ يشير إلى أن الطلاق في الإسلام قبل انتهاء العدة لا يعني انتهاء العلاقة الزوجية، بل يمكن للزوج إرجاع زوجته كما في السابق من دون زيادة أو نقصان بعد أن يكون التفاهم والاحترام قائماً بينهما.

٢ ـ إن «فَأَمْسِكُوهُنَّ» تشير إلى أن الزوج إذا أراد إرجاع زوجته إلى حياته وبيته لا بد أن يكون صادقاً قلباً وعملاً في قراره هذا، بينما كلمة فأرجعوهن أو فأبقوهن قد لا تشيران إلى هذا المعنى. والإمساك بالمعروف هو حسن الصحبة ورعاية ما جعل الله لهن من حقوق.

(س) ما المراد من ﴿ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؟

(ج) ١ ـ احترام ورعاية جميع الحقوق الشرعية التي أمر الله عز وجل بها في كتابه.

٢ ـ أن يتم الانفصال في جو بعيد عن الصياح والعربدة، بأن يكون في حالة تحفظ في الصداقات والعلاقات المشتركة بين الأطراف، وهكذا يجب أن يكون الإحسان والترابط الإيماني قائماً بينهما. لكي تبقى أرضية العودة موجودة فيما إذا أراد الرجوع إلى حياتهم المشتركة السابقة، بينما الانفصال البعيد عن الأخلاق والمبادئ الإسلامية يغلق أبواب الأمل والخير عن الطرفين ويمنعهما عن التفكير في الرجوع ثانية[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

(س) ما أهمية الشهود في الطلاق؟

(ج) ١ ـ لوضع ا لنقاط على الحروف في الإرث، فلولا الشهود لكانت المطلقة تدعي في الإرث ما ليس لها.

٢ ـ لتبين حرية المرأة بعد فراق زوجها حيث تخرج من عصمته، فيحق لها أن تتزوج من رجل آخر. ولا يحق للزوج أن يمنعها من ذلك. عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إن الله تعالى أمر في كتابه في الطلاق وأكد فيه بشاهدين ولم يرض بهما إلا عدلين»[2].

٣ ـ إن مع إحضار الشاهدين نوعاً من التأخير والأناة، فعسى إلى أن يحضر الشاهدان أو يحضر الزوجان يحصل الندم بينهما ويعودان إلى الألفة وإلى هذا

---

(١) تفسير الأمثل: الآية(مع تصرف).

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٣٥٢.

أشار تعالى ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾.

٤ ـ إن حضور الشهود العدول لا يخلو من موعظة حسنة يَزجُّونَها إلى الزوجين لعله يكون فيها مخرج لهما من الطلاق.

٥ ـ إن وجود الشهود عند الطلاق يسهل إثباته فيما لو وقع خلاف بين الزوجين فيه[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾

(س) ما المراد من إقامة الشهادة لله سبحانه؟

(ج) في الآية تحذير للشهود أن يحصل في قلوبهم ميل لأحد الطرفين مما يؤدي إلى منع إظهار الحق، فقوله عز وجل: ﴿وأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي اجعلوها صحيحة وكاملة لوجه الله، واقصدوا بأدائها التقرب إلى الله من خلال أداء الشهادة بشكل صحيح ليس فيه ميل لأحد الطرفين[2]، وقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ يشير إلى أن الشاهدين يجب أن يكونا مسلمين عادلين ومن الذكور.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ..﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتدق جرس الإنذار الخطر للرجال وللنساء

---

(١) الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة والمذهب الجعفري والقانون. طبع دار النهضة العربية: ص٣٧٨.

(٢) مجمع البيان: ج٢٨ ص٤٣.

وللشهود الذين يريدون الدخول في ما لا يحمد عقباه، نعم قد تسبب المشاكل المعيشية والحياة المستقبلية للزوجين، الانحراف عن جادة الصواب عند الطلاق والرجوع، وقد تضغط هذه الظروف على الشاهدين فتمنعهما عن أداء الشهادة الصحيحة، فجاءت الآية المباركة لتحذرهم من أن يخافوا قول الحق، ولتدعوهم إلى الاعتماد على الله (سبحانه وتعالى) واللجوء إليه في كل صغيرة وكبيرة، فإنه هو الرازق والمهيمن والمدبر للأمور وقد تعهد بتيسير أمور من يثق به ويتوكل عليه، فما عليهم إلا أن يضغطوا تلك الخطوط التي أرادت ضغطهم متوكلين بذلك على الله (سبحانه وتعالى)[1].

(س) ما أهمية مجيء قوله تعالى؟

(ج) ١ ـ تفتح الآية المباركة باب الأمل بمصراعيه أمام الجميع للتوجه إلى الله عز وجل عند مواجهة أي ضيق في الحياة لاسيما إذا كان متعلقاً بأمور الأسرة والإنفاق على الأهل والعيال، وتدعو الناس إلى أن لا يجعلوا الأمور البسيطة سبباً في هدم كيان الأسرة والعائلة، وذلك من خلال الاهتمام بعامل التقوى والصلاح الذي هو العامل الوحيد النافع في مواجهة الهزاهز والمصائب التي يتعرض لها الإنسان في حياته.

٢ ـ ترفض الآية المباركة جميع الأفكار والادعاءات التي يطلقها بعض الناس بأن الأرض سوف تفقد مواردها الاقتصادية مع مرور الزمن وذلك للاستهلاك الكثير الموجود لها بسبب تزايد عدد السكان، وتقول بأن الله «سبحانه وتعالى» قادر على إيجاد الرزق لسكان الأرض مهما تزايد عددهم، حيث إنه يرزق الإنسان من الطرق التي لا يحتسبها ولا يتخيلها قال تعالى:

---

(١) الأمثل: ج١٨ ص٣٧٩ (مع تصرف).

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.

٣ ـ وتبين الآية الشريفة بأن الطريق المشروع والحلال هو السبيل الذي يجب أن يتبعه الإنسان في الحصول على رزقه، وأنه هو الذي يؤدي به إلى رزق الله عز وجل الطيب والطاهر، وما الطرق الأخرى الملتوية إلا وساوس شيطانية لا توصل الإنسان إلى الخير والسعادة.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ❖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾

(س) كيف يتمكن الإنسان من الحصول على التقوى التي تؤدي به إلى الحصول على المخرج الإلهي من المصاعب وعلى الرزق الكثير؟

(ج) ١ ـ معرفة الله (سبحانه وتعالى) حق معرفته من خلال الاطلاع الكامل على أسمائه وصفاته ومن خلال النظر إلى مخلوقاته وإلى الكون وإلى النفس الإنسانية أيضاً.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

٢ ـ الابتعاد عن المحرمات والأخذ بالواجبات كما ينبغي.

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاّ مَا سَعَى﴾ وقوله ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا بن آدم الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك..»[1]. يفهم من الحديث

---

(١) نهج البلاغة: ص٧١٣، ح٣٧٨.

الشريف ومن آيات الذكر الحكيم بأن الرزق نوعان، رزق لابد على الإنسان من أن يتجه إليه، ورزق يأتي له من دون سعي.

(س) لماذا جعل الله (سبحانه وتعالى) الرزق بهذه الصورة ولم يسهله على الإنسان بشكل كامل؟

(ج) ١ـ قال عز وجل: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[1].

٢ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون، وذلك أن العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه»[2].

❁ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

(س) ما هو المراد من التوكل على الله عز وجل؟

(ج) عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال لجبرائيل عليه السلام: ما التوكل؟ قال: «العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحدٍ سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكل»[3].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾

(س) لماذا لا يستطيع الإنسان الوصول إلى الأمور التي يرجوها؟

(ج) بما أن الإنسان خُلق للابتلاء والامتحان لهذا تحول بينه وبين ما يجول في

---

(١) الشورى: ٢٧.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٣٥٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٣٧٣ ح١٩.

فكره العقبات والأمور، لمحدودية قدرته، وبما أن الله (سبحانه وتعالى) هو القادر المطلق، فلذا فهو يوصل الإنسان إلى الكمال والخير بعد النظر إلى المصلحة العامة للجميع(١).

۞ قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾

(س) ما المراد من تقدير الله للأشياء؟

(ج) «أن الإمام الصادق عليه السلام سأل بعض أصحابه فقال: ما فعل عمر بن مسلم؟ فقال له البعض: جعلت فداك أقبل على العبادة وترك التجارة، فقال: ويحه أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له، إن قوماً من أصحاب رسول الله لما نزلت: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يجْعَلْ لَهُ مخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يحْتَسِبُ﴾ أغلقوا الأبواب، وأقبلوا على العبادة، وقالوا قد كفينا، فبلغ ذلك النبي فأرسل إليهم قال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله تكفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، قال: إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب»(٢).

۞ قال تعالى: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) كما يوجد تقدير في عالم الطبيعية بمختلف شؤونها، فكذلك التقدير موجود في عالم التشريع، حيث فرض الله (سبحانه وتعالى) عدة معينة للمرأة كحقٍ من حقوقها على الرجل بعد الطلاق.

(س) لماذا أصبح عدة هذا القسم من النساء ثلاثة أشهر؟

---

(١) المصدر السابق: (مع تصرف).

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص١٥٥.

(ج) بناءً على الأصل في عدم اليأس، مما يجعل حكمهن كحكم النساء العاديات، أما لو تبين بأنهن يائسات فلا عدة لهن، فعن الإمام الصادق عليه السلام في التي يئست في المحيض يطلقها زوجها قال: «قد بانت منه ولا عدة عليها»[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾

(س) ما حكم ﴿وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾

(ج) ١ ـ إذا ارتيب في كونهن بلغن الحيض فإن عدتهن كالمشكوك في يأسهن أي ثلاثة أشهر تأسيساً على الاحتياط حرصاً على سلامة الأسرة والعلاقة الزوجية[٢].

٢ ـ أما الصبية التي لا تحيض مثلها والتي قد يئست من المحيض، فليس لها عدة، عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس عليها عدة وإن دخل بهما»[٣].

❁ قال تعالى: ﴿وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

(س) كيف يتمكن الزوج من طلاق زوجته الحامل؟

(ج) يتمكن من أن يطلقها طلقة واحدة فقط وعدتها إلى حين وضعها للحمل، قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «طلاق الحبلى واحدة وإن شاء راجعها قبل أن تضع، فإن وضعت قبل أن يراجعها فقد بانت منه وهو خاطب من الخطاب»[٤].

(س) ماذا لو سقط الجنين من بطن الأم؟

---

(١) المصدر السابق: ص٤٠٩.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٤٠٨.

(٤) المصدر: ص٤١٩.

(ج) عن عبد الرحمن الحجاج عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن الحبلى إذا طلقها زوجها فوضعت سقطاً تم أو لم يتم أو وضعته مضغة فقال: «كل شيء يستبين أنه حمل تم أو لم يتم فقد انقضت عدتها وإن كانت مضغة»(١).

(س) لماذا أمر الله (سبحانه وتعالى) بأن يكون عدة الحامل وضع الحمل؟

(ج) ١ ـ لعل السبب هو الإشارة إلى أن مسؤولية الحمل مشتركة بين الأم والأب لذلك تمتد عدتها زمنياً إلى أن تضع وقد تطول إلى ثمانية أشهر.

٢ ـ إعطاء الفرصة الكافية للزوج للمراجعة والتفكير، فعسى أن يغير رأيه ويفكر في تحمل مسؤولية الولد بعد أن يلقي الله حبه في قلبه(٢).

(س) ما حكم الحامل الذي يتوفى زوجها؟

(ج) عدتها أبعد الأجلين، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «المتوفى عنها زوجها الحامل أجلها آخر الأجلين، إن كانت حبلى فتمت لها أربعة أشهر وعشر، وإن لم تضع فإن عدتها إلى أن تضع، وإن كانت تضع حملها قبل أن يتم لها أربعة أشهر وعشر تعتد بعدما تضع تمام أربعة أشهر وعشر، وذلك أبعد الأجلين»(٣).

۞ قال تعالى: ﴿وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ۞ ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء قوله عز وجل؟

---

(١) المصدر: ص٤٢١.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٤٥٥.

(ج) جاءت الآية المباركة لتبين للإنسان بأن طريق الخلاص من المحن والمشاكل المختلفة للحياة ومنها مشاكل الحياة الزوجية يكمن من خلال التوجه إلى كتاب الله (سبحانه وتعالى) وتطبيق أوامره ونواهيه، ولا يصل الإنسان إلى أي يسر وعلاج لأموره فيما إذا ابتعد عن حدود الله وأحكامه[١].

(س) كيف يحصل المتقي على غفران سيئاته الصغيرة؟

(ج) وذلك من خلال الابتعاد عن المعاصي الكبيرة بفعل التقوى الموجودة في النفس، قال تعالى: **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾**[٢].

❁ قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ...﴾

(س) ما هو المراد من السكن من الوُجْد؟ ولماذا أُمِرَ الزوج بذلك؟

(ج) الوُجد: هو ما يجده الإنسان ويقدر عليه، أمر الله (سبحانه وتعالى) الرجلَ فيما إذا طلق زوجته أن يسكنها مسكناً مناسباً بقدر إمكانه وبما يستطيع وذلك لكي لا يضعها في موقف حرج يجعلها تتنازل عن حقوقها الطبيعية والشرعية، مما يوقع الرجل فيما لا يحمد عقباه. عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يُضارَّ الرجلُ امرأتَه إذا طلقها فيضيق عليها حتى تنتقل قبل أن تنقضي عدتها فإن الله قد نهى عن ذلك»[٣].

(س) هل إن السكن هو الأمر الوحيد الذي يجب أن يهيئه الزوج لزوجته

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٤٥٥.

(٢) سورة النساء: ٣١.

(٣) نور الثقلين: ج٥ ص٣٦٢.

المطلقة؟

(ج) من الطبيعي حينما يكون السكن للزوجة المطلقة على مسؤولية الرجل فإن الأمور الأخرى من الإنفاق ستقع عليه أيضاً، ولهذا قال تعالى ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، أي لا توجهوا إليهن ضرراً معيشياً سواءاً كان من ناحية السكن أو الكسوة أو الطعام، حيث إنهن إذا واجهن مثل هذه الضغوط فسوف يتركن كل شيء ويهربن من بيت الزوجية، مما يجعل الرجل يخرج عن جادة الحق والصواب[1].

(س) لماذا إشارة الآية إلى مسألة السكن دون أن تشير إلى الحاجات الحياتية الأخرى؟

(ج) إن السكن هو الأمر المهم الأول والذي يشغل بال الإنسان، حيث استطاع الحصول عليه بيسر فإن الأمور الأخرى سوف يحصل عليها بصعوبة أقل.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

(س) ما هي حقوق المرأة المطلقة الحامل؟

(ج) عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا طلق الرجل المرأة وهي حبلى أنفق عليها حتى تضع حملها فإذا وضعته أعطاها أجرها ولا يضارها إلا أن يجد من هي أرخص أجراً منها، فإن رضيت بذلك الأجر فهي أحق بابنها حتى تفطمه»[2]. وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «الحامل أجلها أن

---

(١) تفسير الأمثل: الآية.

(٢) تفسير.

تضع حملها وعليه نفقتها بالمعروف حتى تضع حملها»[١].

❁ قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾

(س) ما مقدار الأجرة التي يجب أن تعطى للزوجة المطلقة إزاء إرضاعها لولدها؟

(ج) الأجرة تتناسب مع مقدار وزمان الإرضاع، وطبقاً لما هو معروف وشائع عرفاً، أما السكنى والنفقة فليستا واجبتين على الزوج بعد الوضع وإن أجر الإرضاع يكون واجباً على الأب وذلك لأنه من نفقة الولد على الوالد[٢].

قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاّ مَا ءَاتَاهَا﴾.

❁ قال تعالى: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾

(س) ما هو الائتمار؟ وبين من يجب أن يكون؟

(ج) الائتمار بشيء هو تشاور القوم فيه بحيث يأمر بعضهم بعضاً في ذلك الشيء، الآية تخاطب الرجل والمرأة بأن يتشاورا في أمر الولد ويتوافقا في الأجرة، بحيث لا يتضرر الرجل بزيادة الأجرة، ولا المرأة بنقيصته ولا الولد بنقص مدة الرضاع إلى غير ذلك[٣].

❁ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾

(س) أي عسر قد يظهر على طاولة التشاور بين الطرفين؟

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٤٨.

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

(٣) تفسير الميزان: الآية.

(ج) قد يظهر عسر في أمور متعددة بين الطرفين فيؤدي إلى عرقلة مسألة الرضاعة للمولود من قبل الأم، فهنا لا يحبذ للأب إجبار أم الولد على رضاعته كحل للتعاسر، إذ إن ولايتها عليه تنتهي عند طلاقها بل إنه لا يجوز له إجبارها على ذلك وهي زوجته، فكيف وقد انفصلت عنه؟! فهنا يجب على الأب أن يجد امرأة أخرى غير والدته لترضع ولده.

(س) ماذا لو توقفت حياة الولد على أمه؟

(ج) لو لم يقبل الولد اللبن من امرأة أخرى وتوقفت حياته على أمه، هنا يجبر الحاكم الشرعي الأم على إرضاعه، ويجبر الزوج على إعطاء أجرة المثل بالشكل الذي يرضيها[1].

۞ قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللهُ..﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتبين مقياس الإنفاق عند الإنسان بشكل عام سواء في تعاملاته الاجتماعية العامة أو في إنفاقه على نفسه وعياله، فالغني لابد أن لا يبخل بما آتاه الله عز وجل سواءاً على زوجته المطلقة أو على غيرها عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن أنفق الرجل على امرأته ما يقيم ظهرها مع الكسوة وإلا فُرِّق بينهما». أما الفقير فيجب أن ينفق حسب مقدرته، ولا يجوز له أن يتجاوز حدود قدرته تلبية لرغباته وأهوائه.

۞ قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾

(س) ما أهمية مجيء قوله تعالى؟

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

(ج) يعطي الله (سبحانه وتعالى) الأمل من خلال قوله هذا لجميع أفراد المجتمع لاسيما الذين اشتدت عليهم الأمور المادية والذين تتابعت عليهم المصائب والمتاعب الروحية والنفسية بأن الله سوف يكشف عنهم عسرهم وأذاهم ويبدله إلى خير وفضل كبيرين، فما على الإنسان إلا الصبر والاستقامة أمام ما يواجهه من خطوب وآلام، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فلا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه».

❁ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾

(س) ما أهمية النظر إلى حياة الماضين؟

(ج) عندما يبين الله عز وجل الحدود الشرعية، يحذر من عواقب خرقها وذلك من خلال النظر إلى حياة الأمم الماضية، فالكثير منها إنما عوقبت وأنزل عليها العذاب وذلك لخرقها ولتجاوزها الحدود الشرعية التي أمر الله عز وجل بالأخذ بها بشكل كامل ودقيق. لذا فإن دراسة التاريخ حافز مهم يدعو الإنسان إلى تقويم سلوكه وتنظيم حياته بشكل صالح، لكي لا يقع فيما وقع فيه الماضون من قبله.

(س) لماذا ابتدأت الآية المباركة بـ﴿كأين﴾ التي تفيد الكثرة؟

(ج) لعل التعبير بـ﴿كَأَيِّنْ﴾ جاء لأجل مواجهة حالة الاسترخاء والاسترسال في الذنوب والمعاصي حتى يظن الإنسان بأن الله «تعالى» قد غفل عنه وأهمله وفوض إليه أمره لكرامته عنده، فجاءت الآية المباركة لتقول ليس الأمر كما ظننت، فكم من قرية دمرناها بسبب فسادها وطغيانها على رسلها

فحذار أن يصلك ما وصلهم[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ..﴾ ولم يقل من بلدة أو مدينة؟

(ج) إن القرية ـ كما يبدو ـ تطلق في القرآن عادة على المجتمعات الفاسدة والطاغية، بغض النظر عن صغرها أو كبرها، بينما تستخدم كلمة بلد أو المدينة للتعبير عن المجتمع المتحضر الذي دخل في العقيدة الإلهية والحضارة السماوية، حتى لو كان ذلك المجتمع صغيراً أو عدد المتدينين فيه ليسوا كثيرين، قال عز وجل: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ❖ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ❖ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ..﴾[٢]فأطلقت لفظة المدينة على أنطاكيا كما في بعض الروايات وذلك لوجود رجل مؤمن واحدٍ فيها.

(س) هل يحب الإنسان النظر إلى الماضي لكي يدعوه القرآن الكريم إلى الاعتبار بهم؟

(ج) يظهر أن الإنسان مفطور على مراجعة التاريخ للمجتمعات البشرية بشكل عام وإلى مراجعة تاريخ حياته بشكل خاص وذلك لتجديد وتحسين نظرته إلى سلوكه وحياته والمستقبل، ولكن: «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار» كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث نرى الكثير من الناس عندما يمرون على آثار الماضين يكتفون بها إما بالسياحة أو بالنياحة بينما المطلوب منهم هو الاتعاظ والاعتبار قال (سبحانه وتعالى): ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً

---

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٢) سورة يس: ٢٢.

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾.

(س) لماذا يتحدث القرآن الكريم عادة عن تاريخ الشعوب بينما لم يعتنِ بتاريخ الأفراد، حيث نرى الآية المباركة تقول: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ...﴾ ولم تقل: وكأين من طاغية عتى..؟

(ج) إن الأصل في الحديث عن مصير وتاريخ المجتمعات المجتمعاتُ نفسُها وليس حكامها وإذا ما تحدث القرآن الكريم عن أفراد كفرعون وهامان وقارون فغالباً ما يضع الحديث عنهم في إطار اجتماعي، وذلك لأن هؤلاء الأفراد إنما ظهروا على أرض الواقع بسبب وجود الأرضية الخصبة لهم، من خلال وجود الأنصاف والأرباع من الرجال، حيث إن المجتمع الذي فيه الرجال والنساء الكاملون لا يمكن أن يظهر فيهم شخص طاغية وحاقد. ولهذا السبب تحدث القرآن الكريم عن تاريخ الشعوب دون الأفراد[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿..عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ دون أن يقول: عن أوامر ربها لكي تشير إلى الأحكام والحدود كلها؟

(ج) ربما ليؤكد لنا بأن جميع الأوامر الإلهية هي كالأمر الواحد لا تقبل التجزئة أبداً، ولهذا لا يمكن أن نأخذ ببعضها ونترك بعضها الآخر. قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٢) سورة البقرة: ٨٥.

❁ قال تعالى: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾

(س) لماذا أضافت الآية أمر الرسل إلى جانب أمر الله بينما يكفي أن يقول: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا...﴾؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أنَّ إطاعة الرسل من أعظم صور الإطاعة للأوامر الإلهية. وإنها الجانب العملي والتطبيقي لتلك الأوامر، التي لأجلها خلق الله تعالى الجن والإنس. قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾.

(س) ما هو الحساب الشديد؟

(ج) هو الحساب الدقيق الذي فيه نقاش والجزاء لتوفية الأجر كما هو عليه، والمراد به حساب الدنيا غير حساب الآخرة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[2]. وهو إشارة إلى عاقبة الأقوام السابقة المتمردة التي هلك بعضها بالطوفان وبعضها بالزلازل والصواعق وغير ذلك.

(س) لماذا الحساب الشديد وهو أرحم الراحمين؟

(ج) ربنا (سبحانه وتعالى) يتعامل مع خلقه بلطف وإحسان فيتغاضى عن كثير من سيئاتهم، ولكن عندما يطغى بعضهم على أوامره بشكل كبير يسخط عليهم، فيتحول الحساب اليسير إلى حساب شديد، وهو المجازاة بالمثل، التي أشار إليها بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الشورى: ٣٠.

ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[١].

قال العلامة الطوسي (رحمه الله): (الحساب الشديد الذي ليس فيه عفو)[٢].

(س) ما فائدة التطرق إلى موضوع هلاك الأمم الطاغية؟

(ج) ١ ـ إنه ينسف ظن الكثير من الناس الذين يظنون بأن الله أرحم الراحمين، لا يؤاخذ عباده بسيئاتهم ومعاصيهم، وهذا ما يؤدي بهم إلى الاسترسال الأكثر في الفسق والفجور. قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[٣].

٢ ـ إنه يزرع الموعظة والعبرة في النفس ويدعوها إلى التوقف عن مسيرة الاسترسال في المعاصي والموبقات[٤].

❁ قال تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾

(س) ما هو الأمر الذي تتخذه الأمم الظالمة ثم تذوق جزاء ذلك؟

(ج) إنها السنن والقوانين والأنظمة والعبادات الخاطئة التي تتخذها بدلاً عن النظام السماوي الذي أنزل لها، وبدلاً عن عبادة الله (سبحانه وتعالى) قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالمُؤْتَفِكَاتُ بِالخَاطِئَةِ. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾[٥].

---

(١) سورة فاطر: ٤٥.

(٢) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٠٩.

(٣) سورة فصلت: ٢٣.

(٤) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٥) سورة الحاقة: ٩: ١٠.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا...﴾ ولم يقل: فلاقت وبال أمرها...؟

(ج) لعله للإشارة إلى أن العذاب أو الجزاء الذي واجهوه في الدنيا شيء قليل بالنسبة إلى العذاب الكبير المعد لهم يوم القيامة. ولهذا قال عز وجل: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3].

(س) ماذا يخسر العالم بابتعاده عن قوانين الله عز وجل؟

(ج) ١ ـ إنه يخسر المكاسب والمعطيات العظيمة التي تنال مع تطبيق أوامر الله عز وجل ورسله.

٢ ـ يخسر الطاقات الكبرى التي أعطيت له لأجل الوصول إلى الكمال والسعادة ولا يصل بسبب هذه الاستفادة السيئة من إمكانياته إلى أي نوع من السعادة في الدنيا ولا في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[4].

٣ ـ يعيش حالة البهيمية في جميع أبعادها وحالاتها بل يصل إلى درجة

---

(١) سورة طه: ١٢٧.

(٢) سورة الإسراء: ٥٧.

(٣) سورة الزمر: ٤٨.

(٤) سورة الأحقاف: ٢١.

أخس وأضل منها أيضاً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾

(س) لماذا يكون العذاب الشديد في الآخرة دون الدنيا؟

(ج) ١ ـ بما أن العذاب إنما يكون بسبب الأفعال السيئة التي يجترحها المذنبون وبما أن الإنسان لا يستطيع العمل والحركة بصورة مختارة إلا في هذه الدنيا وتسلب منه هذه القدرة في الآخرة، فلهذا فإن الحياة الآخرة إنما تكون فقط لأجل إعطاء النتائج سواء للصالحين أو للطالحين.

٢ ـ إن الكثير من الأعمال لا يمكن إعطاء جزائها في الدنيا صالحة كانت أم غير صالحة وذلك لمحدودية الإمكانيات في الدنيا ولعظم الأعمال عند الله عز وجل. فلهذا أعد الله (سبحانه وتعالى) الجزاء في الوقت والمكان الذي تتوفر فيه تلك الإمكانيات بصورة كاملة.

۞ قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما تقدم؟

(ج) الآية استنتاج مما تقدم خوطب به المؤمنون ليأخذوا حذرهم ويقوا أنفسهم من أن يطغوا على أمر ربهم وعن طاعته، فيبتلوا بوبال عتوهم كما ابتليت بذلك القرى الهالكة[2].

(س) لماذا خاطبت الآية المؤمنين بوصف ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾؟

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

(ج) وذلك لطب الاستمداد من عقولهم على ما يريده منهم من التقوى وأن لا يقعوا فيما وقع فيه السابقون، إذ لما طغوا حوسبوا حساباً شديداً وعذبوا عذاباً نكراً[١].

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «السعيد من اتعظ بتجارب غيره».

۞ قال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾

(س) ما هو المراد من الذكر في الآية المباركة؟

(ج) ١ ـ قيل هو الرسول وإنما سماه ذكراً لأنه يذكر الناس بما يعود إلى دينهم الحق وعاقبتهم[٢].

٢ ـ وقيل: إنه القرآن. قال عز وجل: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٣].

ولكن بما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم توءمان لا ينفصلان عن بعض وأحدهما يكمل الآخر، فلذا فإن المراد من الذكر هو الرسول والرسالة معاً لا يفترقان إلى يوم القيامة، ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم أوصى أمته بأهل بيته عليهم السلام وأمرهم بأن يتمسكوا بهم من بعده فإنهم مصابيح الهدى وسفن النجاة، لا يفترقون عن القرآن، ولا القرآن يفترق عنهم. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً، ولقد أخبرني

---

(١) المصدر.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

(س) ما هو الدليل على أن المقصود من الرسول في قوله عز وجل: ﴿رَسُولاً يَتْلُو..﴾ هو النبي محمد ﷺ دون غيره؟

(ج) هذا ما يؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[1]. ولا يمكن أن يكون هو جبرائيل عليه السلام، حيث إنه يخالف ظاهر الآية.

(س) كيف يفهم معنى إنزال الرسول ﷺ في قولهِ تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ❖ رَسُولاً..﴾؟

(ج) المراد بإنزال الرسول هو بعثه من عالم الغيب وإظهاره لهم رسولاً من عنده بعد ما لم يكونوا يحتسبون، كما في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾[2] [3].

❁ قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

(س) لماذا جاءت كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ بصيغة الجمع بينما ﴿النُّورِ﴾ مفرد؟

(ج) ١ ـ لأن الكفر والشرك والفساد تؤدي إلى الفرقة والاختلاف، بينما يؤدي الإيمان والتوحيد والتقوى إلى الوحدة والتلاحم[4].

٢ ـ إن الحق والنور و الصراط المستقيم واحدٌ بينما الضلال والانحراف عن الحق والظلمات له طرق وشعب كثيرة جداً ولهذا قال (عز وجل): ﴿اللهُ وَلِيُّ

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) المصدر.

(٤) تفسير الأمثل: الآية.

الَّذِينَ آمَنُوا يخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

(س) أولم يخرج المؤمنون من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بفعل إيمانهم وعملهم الصالح، إذاً فما معنى قوله تعالى **﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾**؟

(ج) ١ ـ يظهر أن هناك ظلمات يواجهها المؤمن الصالح الذي سلك سبيل الرشد والإيمان فلكي يصل إلى الهدف المنشود والسامي، لابد أن يقطع المسافة التي بينه وبين الهدف ولا يمكن له ذلك إلا من خلال الاغتراف المستمر من نور القرآن العظيم.

٢ ـ للتقوى درجات ومراتب، فالدرجة الأولى هي التقوى من الشرك، والأخرى من المعاصي التي غير الشرك، وقد يتعرض المؤمن إلى السقوط في وادي الذنوب عندما يبتعد عن نور الله (سبحانه وتعالى)، فلذا فالآية المباركة تحذر من هذا السقوط وتدعو إلى توطيد العلاقة مع الله (سبحانه وتعالى).

۞ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتشير إلى دور الإنسان في نجاة نفسه ووصولها إلى مراتب الكمال والرقي، فذكرت بأنه لا يصل إلى ذلك إلا بعد السعي الدائم والدائب.

(س) لماذا جاءت كلمة **﴿يُؤْمِنْ﴾** و **﴿يَعْمَلْ﴾** بصيغة المضارع؟

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(ج) وذلك للإشارة إلى أن الإيمان والعمل الصالح المطلوبين من الإنسان ما كان له دوام واستمرارية مع الإنسان ما دام حياً، فلا يصح قول بعضهم بأني قد أديت الكثير من الأعمال الصالحة فهي تكفيني للنجاة في الآخرة.

قال تعالى عن لسان نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾[1].

❁ **قال تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً﴾**

(س) ما هو الرزق الذي أحسن الله إليهم به؟

(ج) هو ما رزقهم من الإيمان والعمل الصالح في الدنيا، والجنة في الآخرة.

❁ **قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾**

(س) لماذا اختتمت السورة بتعريف الله (سبحانه وتعالى)؟

(ج) بما أن أكثر آيات السورة المباركة دعتنا إلى تقوى الله عز وجل لهذا جاءت الخاتمة لتعرفنا بربنا، وذلك لأن التقوى بنت المعرفة فإذا ما نظرنا إلى الدلالات الكثيرة التي تدلنا على الله (سبحانه وتعالى)، والتي فيها الآيات الآفاقية والرسالية والرسولية والأنفُسية وغيرها فسوف نصل إلى معرفة عظمة ربنا (سبحانه وتعالى)، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ❖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ❖ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ❖ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ..﴾[2].

---

(١) سورة مريم: ٣١.

(٢) سورة الغاشية: ١٧ ـ ٢٠.

سئل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كيف عرفت الله؟ قال: «عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم».

(س) أين السموات السبع والأرضون السبع؟

(ج) عندما نعتبر الكواكب التي نرى بعضها عند حلول الظلام وهي لا تعد ولا تحصى تعود إلى السماء الدنيا كما قال (تعالى): ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ..﴾[1]، فإن السموات الأخرى لا بد أن تكون فوق سمائنا هذه ولها كواكبها ومجراتها وأراضيها، ثم إن علوم الإنسان ومعارفه مهما اتسعت تبقى محدودة ومتعلقة بالسماء الأولى، وإنه لا يصل من معرفتها إلا إلى قليل مهما اتسعت دائرة معرفته. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً﴾ وقال عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني فإني بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض»[2].

۞ قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾

(س) ما هو الأمر الذي يتنزل بينهن؟

(ج) هي سنن الله التكوينية والتشريعية وقضاؤه وتقديراته وما يبدو له مما يدبر به شؤون خلقه.

(س) لماذا سمى الله تعالى هذه الأشياء بـ«الأمر»؟

(ج) لعله لأن الله (سبحانه وتعالى) وكل ملائكة على كل شيء يُنفِّذون

---

(١) سورة الملك: ٥.

(٢) نهج البلاغة.

إرادته في الكائنات، فهو يأمرهم من فوقهم وهم يعملون بما يريد[١].

(س) ما هي الفائدة التي نستفيدها عندما نعرف بأن الله تعالى قد خلق سبع سموات وسبع أرضين، في وقت لا نستطيع الوصول ولا النظر إليها؟

(ج) ١ ـ لا شك أن الإنسان هو سيد المخلوقات وإنما خلق الكون لأجله، ولكن لا يعني هذا أنه يجب أن يضع رجله أينما شاء وأحب من دون وجود مبرر وفائدة.

٢ ـ ليس إنسان الأرض هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله تعالى مع خلقه للكون، حيث يشير القرآن الكريم بأن السموات والأرضين الأخرى فيها خلق ودواب أيضاً. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[٢].

٣ ـ إذا لم يحصل الإنسان على فوائد ملموسة من السموات الأخرى لا شك هناك فوائد روحية ومعنوية كبيرة تصل للإنسان من خلال معرفته بعظمة ربه وحضوره في هذا الكون الرحيب.

۞ قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

(١) من هدي القرآن: الآية.

(٢) سورة الشورى: ٢٩.

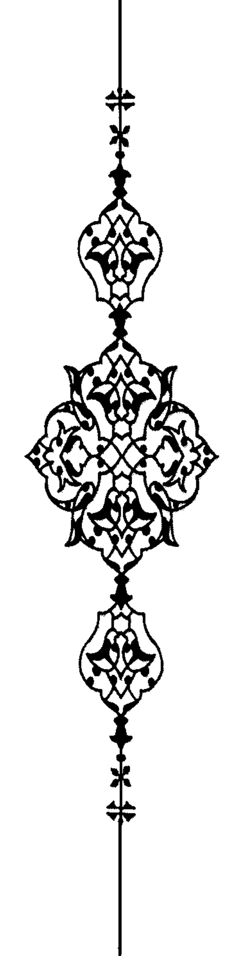
﴿عَمَلاً﴾[١]. وقوله ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ إشارة إلى الرحمة الإلهية؟

(ج) عندما ننظر بدقة إلى هذه الآيات نرى أنها تتحدث حول موضوع واحدٍ ولكن بعضها مقدمة لبعضها الآخر، فالعلم مقدمة للعبودية، والعبادة مقدمة للامتحان وتكامل الإنسان، وهي مقدمة لنيل رحمة الله (سبحانه وتعالى)[٢].

(١) سورة هود: ٧.

(٢) الأمثل: ص٤٠٠.





سورة التحريم



سورة التحريم



بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ
عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ
عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢

فضل السورة:

في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة يا أيها النبي لِمَ تُحرم ما أحل الله لك أعطاه الله توبة نصوحاً»[١].

مفردات السورة:

تحلة إيمانكم: ما تحل به عقدة الإيمان بواسطة الكفارة.

صَغَت: مالت إلى الباطل.

ظهير: نصير.

سائحات: صائمات.

نصوحاً: النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه.

سبب النزول:

قيل: إن رسول الله كان في بيت حفصة في يومها، وكانت مارية القبطية تخدمه، فذهبت حفصة في حاجةٍ لها، فتناول رسول الله ﷺ مارية فعلمت حفصةُ بذلك فغضبت وأقبلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا في يومي، وفي داري، وعلى فراشي؟ فاستحى رسول الله ﷺ منها فقال: «كفى فقد حَرّمتُ مارية على نفسي، ولا أطأها بعد هذا أبداً»[٢].

موضوع السورة:

تبدأ السورة بالإشارة إلى ما جرى بين النبي ﷺ وبين بعض أزواجه من قصة التحريم، فيعاتب النبي ﷺ بتحريمه ما أحل الله له ابتغاءً لمرضاة بعض أزواجه، ثم يرجع العتاب إلى الأزواج، ثم يخاطب المؤمنين أن يقوا أنفسهم من

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٣١١.

(٢) تفسير القمي: ج٢: الآية.

عذاب النار التي وقودها الناس والحجارة. وذلك من خلال التوبة إلى الله (سبحانه وتعالى) توبة نصوحاً، ثم يأمر النبي بجهاد الكفار والمنافقين وتختتم السورة بضربه تعالى مثلاً من النساء للكفار ومثلاً منهنّ للمؤمنين[١].

الأسئلة والأجوبة:

(س) ما وجه اتصال السورة بقبلها؟

(ج) اشتركت السورتان في الأحكام المخصوصة للنساء، فالسورة السابقة تحدثت حول موضوع الطلاق من جميع جوانبه وأبعاده، فحرّمت ما أحله الله عز وجل بالطلاق، وهذه السورة حرمت ما أحل الله «تعالى» بالإيلاء[٢].

(س) ما هو الشيء الذي حرّمه النبي ﷺ على نفسه؟

(ج) لم يصرح الله (سبحانه وتعالى) به، ولم يبين ما هو؟ وماذا كان؟ غير أن قوله «تبتغي مرضاة أزواجك» يومي إلى أنه كان عملاً من الأعمال المحللة التي كان يقوم بها النبي ﷺ. ولم ترتضه أزواجه، لهذا ضيقن عليه وأذينه حتى أرضاهُنَّ بالحلف على أن يتركه ولا يأتي به بعد[٣].

(س) ما هي النظرة العامة الموجودة تجاه زوجات النبي ﷺ؟.

(ج) اختلفت المذاهب الإسلامية في نظرتها في شأن زوجات النبي ﷺ فهناك ثلاثة آراء في هذا الموضوع:

الأول: أضفى عليهن مسحةً من العصمةِ متابعة لبعض النصوص كقول الله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[٤]، وأنهن

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٨ ص٣٢٩.

(٢) التفسير المنير: ج٢٨/ ٣٠٠.

(٣) تفسير الميزان: الآية

(٤) سورة الأحزاب: ٦.

مشمولات بأية التطهير وأنهن زوجات خير خلق الله أجمعين، فلا بد أن يكن أفضل النساء، وقد دعمت الرأي اعتبارات مذهبية أخرى.

الثاني: طعن هذا الفريق فيهن لدوافع مصلحية أو مذهبية كالمنافقين الذين قالوا بالإفك والبهتان في بعض زوجات النبي ﷺ.

الثالث: أخذ بأوسط الأمور، إذ إنه دعا إلى دراسة تاريخ زوجات النبي ﷺ ومن ثم معرفة رأي القرآن فيهن وأنه المحك الأول والأخير في إصدار القرار حتى فيما جاء من التاريخ وذلك لإمكان دخول التزوير والتحريف فيه[1].

(س) ما هي نظرةُ القرآن إلى زوجات النبي ﷺ.

(ج) عندما ننظر إلى آيات هذه السورة المباركة نجد:

١ـ أن النبي ﷺ كان يتعرض للضغط من قبل بعضهن، حتى كان يضطر إلى أن يُحرم على نفسه ما أحله الله له.

٢ـ إن اثنتين منهُنَّ خانتا النبي ﷺ بإفشاء بعض ما أسر إليهن.

٣ـ كان بعضهن يبتعدن عن الحق أحياناً.

٤ـ لم يكن أفضل النساء، فكان بإمكان النبي ﷺ أن يجد خيراً منهن فيما لو طلقهُنَّ. قال تعالى: **﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ...﴾**.

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ..﴾

(س) لماذا قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ..﴾** ولم يقل: يا أيها الرسول؟

(ج) بما أن التحريم الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه (مقاربة مارية أو لعق العسل أو غير ذلك) مما هو حلال في الأصل لم يكن تشريعاً إلهياً نزل به الوحي ليكون حكماً جارياً، إنما هو مبادرة شخصية في حدود الحقوق الشرعية

---

(١) من هدي القرآن: ج١٦/ص٩٣.

واختارها النبي لنفسه، لحكمة بالغة تمثلت في ابتغاء مرضاة الأزواج، لهذا ربما لم يخاطبه الجليل بصفته رسولاً وذلك لكي لا يُعد إيلاؤه جزءاً من الرسالة[١].

(س) هل يمكن للنبي ﷺ أن يُحرم ما أحل الله له، كما تشير ظاهر الآية؟

(ج) ليس المراد من التحريم في قوله تعالى ﴿**لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ...**﴾ هو التحريم التشريعي، وذلك لأنه لا يمكن أن يجتمع مع الإحلال الإلهي، إذ إنه غير ممكن، فالمراد من التحريم هو الامتناع عن الانتفاع مع الاعتقاد بكونه حلالاً[٢].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿**لِمَ تُحرم...**﴾ ولم يقل: لا تحرم؟

(ج) إن التحريم هنا ليس تشريعاً وإنما هو بمعنى الامتناع، كما في قصة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ**﴾[٣]، ولو كان قصد النبي ﷺ بتحريمه مُشَرِّعاً لجاء التعبير الإلهي «لا تحرم» بالنهي، ولَا مُشَرّع إلا الله (تعالى)[٤].

(س) لو قال الرجل لزوجته أنت عَلَيَّ حرام فهل تحرم عليه؟

(ج) عن زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سألته عن رجل قال لأمرأته: أنت عَلَيَّ حرام، فقال لي «لو كان لي عليه سلطان لأوجعت رأسه وقلت له: الله أحلها لك، فما حَرَّمها عليك؟

إنه لم يزد على أن كذب فزعم أن ما أحلَّ الله له حرام، ولا يدخل عليه

---

(١) المصدر.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) سورة القصص: ١٢.

(٤) المصدر السابق.

طلاق ولا كفارة[1]. وذلك لأنه لم يأتِ باليمين «بالحلف» مع كلامه.

(س) هل كان في تحريم النبي ﷺ إيلاء؟

(ج) قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا يكون إيلاء حتى يحلف على أكثر من أربعة أشهر»، لذا ليس في تحريم النبي ﷺ إيلاء، لأن الإيلاء يكون ياليمين ولمدة أربعة أشهر فما فوق. وبما أن مارية كانت جارية له ﷺ فلا إيلاء فيها.

(س) هل يجوز الإيلاء من الجارية؟

(ج) عن أبي نصر عن الإمام الرضا عليه السلام قال: سألته عن الرجل يولي من أمته، فقال: «لا. كيف يولي وليس لها طلاق»[2].

(س) ما مقدار كفارة اليمين؟

(ج) عن أبي حمزة الثمالي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمن قال: واللهِ ثم لم يفِ، فقال: «كفارته إطعام عشرة مساكين»[3].

❁ **قال تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾**

(س) لماذا نُهي النبي ﷺ عن الامتناع عن بعض ما أحل الله (سبحانه وتعالى) له لأجل الحصول على مرضاة زوجاته، وقد ورد عن الإمام عليه السلام أنه قال: «سلامة الدين والدّنيا في مداراة الناس»؟

(ج) إذا كان ضرر الامتناع عن المحللات أكثر من نفعه، فهنا لا بد أن لا تترك، إذ إن الأهم هو المقدم دائماً وأبداً في جميع الأمور حتى في رضى الناس جاء في الحديث الشريف: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٣٦٨ نقلاً عن الكافي.

(٢) المصدر: ص٥٣٩.

(٣) المصدر: ص٥٧١.

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لإصلاح دنياهم إلا وفتح الله عليهم ما هو أضر منه»[١].

۞ قال تعالى: ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(س) ما مناسبة مجيء قوله (عز وجل)؟

(ج) يظهر أن الآية جاءت لتدعو الرسول صلى الله عليه وآله وكل من يتحمل مسؤولية رسالية، أن يتخلق بأخلاق الله (عز وجل) عند مواجهته لضغوط الزوجة. لكي يكون من المشمولين لرحمة الله ومغفرته في الدنيا والآخرة[٢].

۞ قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾

(س) كيف أعاد النبي صلى الله عليه وآله حياته الزوجية الطبيعية مع مارية القبطية؟.

(ج) أعادها عن طريق إعطاء الكفارة وهي إطعام عشرة مساكين. عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنما حرّم عليه الجارية مارية وحلف أن لا يقربها، فإنما جعل عليه الكفارة في الحلف ولم يجعل عليه في التحريم». فلو قال شخص: فلانة عليَّ حرام دون يمين، لا تحرم عليه ولا تجب عليه الكفارة بخرقة لكلامه[٣].

(س) لماذا أوجد الله (سبحانه وتعالى) طريقاً ومخرجاً للأيمان أو القسم؟

(ج) لو لم يجعل الله (عز وجل) المخرج لأيمان الناس لوقع الكثير في العسر ولتفككت الأسر، حيث تدعو الضغوط الحياتية في كثير من الأحيان الأزواج إلى

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) من هدي القرآن: الآية

(٣) المصدر: (مع اختصار).

التحريم باليمين. وإنه تعالى لم يجوز التشريع للإنسان بشكل مطلق لكي لا تتدهور حياته رأساً على عقب[١].

(س) ما هذه الـ«لكم» في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾؟

(ج) إنَّهُ خطاب مع الذين يعطون أو يريدون إعطاء الكفارة، بأنها في جميع الأحوال سوف يعود نفعها لكم دون غيركم، بالرغم من أن هناك مَن يراها كلفة وغرامة إلهية، ولكنها تزكي النفس وتوقف الغضب عن حدّه وترفع شيئاً مِنَ الفقر عن المجتمع.

۞ قال تعالى: ﴿وَاللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الحَكِيمُ﴾

(س) ما فائدة مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتقول بأن الذي فرض عليكم الحكم التشريعي الذي ذُكر وكذلك سائر الأحكام الأخرى هو الله (سبحانه وتعالى) المولى العليم الحكيم، فلا يأمر بشيء لا فائدة فيه وذلك لعلمه البالغ بدقائق الأمور ولحكمته العليا فعندما يؤمن الإنسان بهذا الأمر بشكل كامل فإنه سوف يجد روح التسليم والرضى والثبات في النفس وسوف يرى بأنهُ مرتبط من جبار السموات والأرض في كل صغيرة وكبيرة من أمور حياته، وما الأنظمة والقوانين التي تضعها المؤسسات والحكومات البشرية إلا أفكار واهية لا تجد النفس فيها السعادة والاطمئنان[٢].

---

(١) المصدر: (مع تصرف).

(٢) من هدي القرآن: (مع تصرف).

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً..﴾

(س) ما هو الحديث الذي أَسَرَّهُ النبي ﷺ إلى بعض أزواجه؟

(ج) ١ ـ قيل: إنه تحريم مارية على نفسه.

٢ ـ قيل: إنه تحدّث عن التيارات السياسية والاجتماعية وعن مستقبل السلطة السياسية من بعده وهو الأقرب، حيث إن تحريم مارية لم يكن في الخفاء.

٣ ـ قال العلامة الطبرسي «رض»: ولما حَرَّم مارية القبطية أخبر حفصة أنه يملك من بعده أبو بكر وعمر[١].

أقول: ولا يمكن القول بأن النبي ﷺ أراد بهذا الإخبار والإسرار أن يبشرهما بخبر في هذا التمليك، حيث لم يكن فيه الخير للمسلمين وأنهما استوليا على الخلافة من دون أن يستحقاها وهما يعلمان ذلك.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أنَّ محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عين السيل ولا يرقى إلى الطير.. »[٢].

(س) لماذا لم تذكر الآية المباركة اسمي زوجتي النبي ﷺ اللتين تظاهرتا عليه؟

(ج) بما أن القرآن الكريم كتاب هداية ونور لجميع البشرية إلى قيام يوم الدين. فلهذا يَبتَعِد عن ذكر الأمور التي لا قيمة لها ولا فائدة.

قال ابن عباس: سألت عمر بن الخطاب عن اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ فقال: حفصة وعائشة (أورده البخاري في صحيحه)[٣].

---

(١) مجمع البيان: ج١: عند الآية

(٢) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

(٣) من هدي القرآن: عند الآية.

۞ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ..﴾

(س) لماذا قال تعالى ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ...﴾ ولم يقل: فلما نبأتا به؟.

(ج) لعل في الآية إعراضاً إلى الإشارة إلى كليهما وذلك لوحدة موقفهما وحركتهما ضد النبي ﷺ.

(س) ما الذي دعا عائشة وحفصة إلى أن يخبرا أبويهما بتولي أمر الخلافة من بعد النبي ﷺ؟

(ج) ١ ـ قيل: لوجود العلاقة العاطفية بينهما وبين أبويهما.

٢ ـ وقيل: لحب التظاهر بالحظوة عند النبي ﷺ وهذا من أوسع الأبواب التي تخرج منه أسرار الإنسان إلى الآخرين.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ﴾

(س) ما الحكمة من هذا الإسرار وهذا الإظهار؟

(ج) لعله لكشف هويتهما للمسلمين إلى قيام يوم الدين، فإنهما (حفصة وعائشة) بالرغم من قربهما الشديد للنبي ﷺ ومعرفتهما به لم تميلا إليه لتأخذا من هداه، بل مالتا عليه وأخذتا تتعاونان على إيذائه بعد أن مال قلبهما إلى الباطل وخرج عن الحق قال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

۞ قال تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾

(س) لماذا أظهر النبي ﷺ بعض أمرها، ولم يظهر بعضه الآخر؟

(ج) لعله يؤدي إلى وقوعها في حرج عظيم، وآثار سلبية لا تحمد عقباها وفيه درس لكل زوج في أسرته ولكل قائد تجاه أمته[1].

---

(١) تفسير الأمثل: الآية.

(س) إلى ماذا يشير هذا التصرف من النبي ﷺ؟

(ج) إنه يفصح عن المعدن والجوهر العظيم للنبي ﷺ وإلى سمو أخلاقه وحكمته، إذ لم يعاتب زوجته على كل شيء بل أظهر جانباً وترك إظهار الجوانب السيئة الأخرى.

❁ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

(س) ماذا غاب عن بال الزوجة التي لم تصُن سر النبي ﷺ؟

(ج) لقد غاب عنها وعن إيمانها أن زوجها نبي متصل بالوحي ومؤيد من عند الله (عز وجل) يطلعه على الأمور التي يحتاجها في حركته الرسالية ودعوته إلى الله (سبحانه وتعالى).

❁ قال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

(س) ماذا يشير قوله تعالى؟

(ج) تشير الآية المباركة إلى أن زوجتي النبي ﷺ قد زاغتا عن الحق ومالتا إلى الباطل وذلك بكشفهما سرَّ النبي ﷺ والذي يدل على وجود انحراف داخلي له جذور عميقة ولم يكن خطؤهما خطأً عابراً، فلذا فما عليهما، إذا أرداتا العودة إلى الله (سبحانه وتعالى) إلا أن تتوبا وتعتذرا من النبي ﷺ[1].

❁ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾

(س) ما سبب مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتحذر اللتين مال قلباهما عن الحق بأنهما لو

---

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

رفضتا التوبة والعودة إلى الصواب واستمرتا في التعاون ضد النبي ﷺ فإن العاقبة ستكون للخط الرسالي العظيم المنصور من قبل رب العالمين[١].

(س) لماذا ذكرت الآية هذا العدد من الموالي ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾؟

(ج) إنه تعالى ذكرَ ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ للإشارة إلى أنهم متفقون في نصرته ومتحدون كالصف الواحد، وفي ذكر هذا الأمر تعظيم وتفخيم لنصرة النبي ﷺ قِبال ما واجه من ضغوط وتظاهر عليه.

(س) من هو صالح المؤمنين؟

(ج) قال الإمام الصادق عليه السلام: «صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب عليه السلام»[٢]، وهل هناك من هو أصلح وأفضل من الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي نصر النبي ﷺ في جميع حروبه ومعاركه العسكرية والسياسية، حتى قال ﷺ: «قام الإسلام بسيف علي ومال خديجة».

وقد روى أهل السنة عن النبي محمد ﷺ أن المراد بصالح المؤمنين هو الإمام علي عليه السلام.

في الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: علي بن أبي طالب[٣].

(س) هل هناك ترابط بين قوله تعالى: ﴿..وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله ﴿وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾[٤]؟.

(١) المصدر: (مع تصرف).

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٣٧٠.

(٣) سورة الميزان: ج٢٨ ص٣٤١.

(٤) سورة الأنبياء: ٧٢.

(ج) قد أورد جمع من المفسرين منهم القرطبي في تفسيره المعروف وكذلك الألوسي في (روح المعاني) روايات في أن المقصود بـ«صالح المؤمنين» هو الإمام علي عليه السلام وبعد أن نقل مؤلف (روح البيان) عن مجاهد الرواية قال: ويؤيد هذه الرواية (حديث المنزلة) الذي وصف فيه الرسول مكانة علي عليه السلام منه بقوله لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وإن عنوان الصالحين استعمل في القرآن الكريم في الأنبياء عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾(١)، وبما أن الإمام علياً عليه السلام بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام فإنه سيكون مصداقاً للصالح.

قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ..﴾

(س) ما هو القرار الفصل الذي اتخذه القرآن الكريم حيال التحركات السلبية لبعض زوجات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟

(ج) إنه حَذّرهُنَّ من السلوك السلبي تجاهه، وأن مصلحة رسالته فوق كل شيء، وأنه مستعد لتطليقهن لو عارضن الرسالة وعمله الرسالي، ثم أنه لو فعل ذلك فلن تتعطل مسيرته بل ستستمر، وسيجد بين الناس وعند الله من هو خير من زوجاته(٢).

(س) لماذا انتقل الحديث من التثنية إلى الجمع؟

(ج) لكي يكون ما حدث عبرة لجميع الزوجات، فلا تحدثهن أنفسهن بالسير على خُطا الاثنتين(٣).

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٢.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(٣) المصدر.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «جمع خير الدُنيا والآخرة في كتمان السر ومصادقة الأخيار، وجمع الشر في الإذاعة ومؤاخاة الأشرار»[١].

۞ **قال تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾**

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة صفات المرأة الصالحة بهذه الصورة؟

(ج) يظهر أنه يوجد تسلسل هادف في الآية المباركة، بدأ بالقليل إلى الكثير فالإيمان أعلى من التسليم، والقنوت أعلى من الإيمان وهكذا.

۞ **قال تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾**

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة هذه الصفات؟

(ج) يبدو أن هذه الصفات المعنوية هي التي ينبغي أن تتوفر في شريكة حياة الإنسان، فالمرأة التي تكون خالية من هذه الصفات أو بعضها فلا خير فيها.

(س) كيف يمكن أن تكون المؤمنة سائحة؟

(ج) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سياحة أمتي الجهاد» وأفضل الجهاد كما في الأحاديث الشريفة هو جهاد النفس وتهذيبها وسوقها نحو الصالحات والخيرات قال تعالى: **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾**. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا تدع نفسك وهواها فإنّ هواها رداها».

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة صفات المرأة الصالحة بهذه الصورة؟

(ج) يظهر أنه يوجد تسلسل هادف في الآية المباركة، بدأ بالقليل إلى الكثير

---

(١) سفينة البحار: ج٢ ص٤٦٩ مادة الكتمان.

فالإيمان أعلى من التسليم، والقنوت أعلى من الإيمان وهكذا قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الإسلام إقرارٌ باللسان وتصديقٌ بالجنان وعملٌ بالأركان»، فالإسلام تصديق باللسان بينما الإيمان تصديق بالقلب.

۞ قال تعالى: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾

(س) لماذا ذكر الثيبات أولاً بينما الأبكار هنّ المفضلات لمن يريد الإقدام على الزواج؟

(ج) يمكن أن تكون البعض من الثيبات خيراً بالنسبة إلى البعض من الأبكار وذلك عندما يفكر الإنسان بعقله قبل أن يهوى بقلبه، فإن بعض الثيبات يمتلكن المال والجمال والكمال الروحي، بينما قد يفقد الكثير من الأبكار هذه الأمور، وهناك الكثير من الثيبات لم يحالفهن الحظ عندما تزوجنَ وهنَّ أبكار في أن يعشنَ مع أزواجهن إلاّ أياماً معدودات، ففقدن بكارتهن دون أن يحصلن على السعادة المرجوة، وإذا كان الأمر كذلك فلا يقدح ذكر الثيب أولاً لجواز أن يكون فيهن من الخير ما ليس في البكر[1].

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) جاءت الآية المباركة كالتعميم بعد التخصيص، فإنه تعالى كما أدّب نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببيان ما لإيذائهنَّ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأثر السيئ عمم الخطاب، فخاطب المؤمنين عامةً أن يقوا أنفسهم وأهليهم من النار التي وقودها الناس والحجارة بكل الوسائل الممكنة التي تبقيهم بعيدين عن الوقوع في هذه الهاوية

(١) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

المهلكة.

(س) منذ متى تبدأ مسؤولية حفظ النفس والأهل على الإنسان المؤمن؟

(ج) لاشك أن هذه المسؤولية تبدأ منذ الأيام الأولى لبلوغ المؤمن سن التكليف، وتأخذ هذا المسؤولية أبعاداً أكبر وأوسع، عندما يفكر باتخاذ شريكة حياته، قال النبي الأعظم ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء». وتستمر هذه المسؤولية مع انعقاد نطفة الحمل ومع أيام وجود الجنين في بطن الأم وهكذا إلى أيام ولادته ونشوئه وتربيته؛ وإن حقوق الزوجة والأولاد، ليست في توفير المسكن والمأكل فقط بل الأهم من ذلك توفير التربية الصالحة وتنميتها في محيط الأسرة[1].

(س) قد يتمكن الإنسان أن يحفظ نفسه من أن لا يكون من أهل النار فكيف يستطيع أن يقي أهله منها؟

(ج) عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله «الآية»، قلت: هذه نفسي أقيها فكيف أقي أهلي؟ قال: «تأمرهم بما أمرهم الله به، وتنهاهم عما نهاهم الله عنه، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك»[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

(س) كيف يمكن للكافر أن يكون وقوداً لنار جهنم إلى جانب الأحجار؟

(ج) إن الكفار كانوا أشد قسوة من الحجارة في الحياة الدنيا، قال تعالى: **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِن**

---

(١) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٣٧٢ نقلاً عن أصول الكافي.

الْحِجَارَةِ لمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ﴾(١).

فإن بإمكان الله (سبحانه وتعالى) أن يجعل هذه القلوب القاسية باقية بالإضافة إلى أجساد أصحابها، يحترقون ويوقدُونَ نار الجحيم إل جانب الأحجار دون أن يعتريها نقص أو فناء. قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**(٢).

(س) كيف يمكن للحجارة إيقاد نار جهنم؟

(ج) لقد اتضح في هذا العصر أن أيّ قطعة صخرية تحتوي على مليارات المليارات من الذرات التي إذا ما تحررت الطاقة منها فإنها سوف تخرج ناراً هائلة يصعب تصورها(٣).

۞ قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

(س) ما سبب وجود الملائكة الغلاظ في نار جهنم؟

(ج) إن سبب وجودهم هو لإجراء وإنزال أنواع العذاب على أهلها ولعلها تختلف في ما بينها في نوع عملها حسب استحقاق أهلها من العذاب.

(س) لماذا اتصفت ملائكة النار بالغلظة والشدّة؟

(ج) ١ ـ إن قوله عز وجل يبين معنى هذه الغلظة والشدة قال تعالى: **﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**. إنهم غلاظ لا يتسامحون ولا

---

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) سورة النساء: ٥٦.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٤١٦.

يتساهلون في أمر الله (تعالى) ملتزمون بما أمرهم الله به من أنواع العذاب لا يعصونه بالمخالفة أو التنقيص، وإنهم أقوياء في عزمهم وفعلهم، لا يفوتهم شيء ولا ينقص.

٢ ـ بما أن جهنم ليست مكاناً للرحمة والشفقة، وإنما هي مكان الغضب الإلهي والعقاب، فلذا فلابد أن تكون الملائكة نَشِطةً في تنفيذ الأوامر الإلهية الصادرة إليهم.

(س) أولا يوجد في قوله عز وجل: ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾. تكرار؟

(ج) إن قوله تعالى: ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ**﴾ يشير إلى التزامهم بالتكليف، بينما قوله: ﴿**وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ يشير إلى تطبيقهم للعمل، فلا تكرار كما قيل[١].

(س) هل يمكن الاستفادة من ﴿**لا يَعْصُونَ**﴾ بأن الملائكة مكلفون يوم القيامة بإطاعة وتطبيق الأوامر الإلهية؟

(ج) ليس هناك اختيار أمام الملائكة في الطاعة وعدمها، حيث إنهم مجبولون على الطاعة غير مختارين، وإنهم لا رغبة لديهم ولا ميل إلى عصيان الله (سبحانه وتعالى)[٢]، قال تعالى: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٣].

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٧.

(س) هل يستحق الملائكة الجزاء بعد تطبيقهم للأوامر الإلهية الصادرة إليهم؟

(ج) بما أن الملائكة مكلفون بتكليف تكويني غير تشريعي حسب اختلاف درجاتهم، فلذا فليس لهم جزاء على أعمالهم[١].

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[٢].

وقال عنهم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾[٣].

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(س) ما سبب مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتبين بشكل واضح، أن عدم الالتزام بأوامر الله وعدم الاهتمام بالنساء والأولاد والأهل، قد تكون نتيجتها كعاقبة الكفار يوم القيامة، الذين يعتذرون عن كفرهم ومعاصيهم ولكن لا يُقبل منهم.

(س) لماذا لا تقبل المعذرة من الكفار يوم القيامة؟

(ج) إن الاعتذار توبة، والتوبة غير مقبولة يوم القيامة سواء قبل دخول النار أو بعدها، وذلك لأن يوم القيامة يوم الجزاء على الأعمال التي صدرت من الإنسان. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ثم إن القرآن الكريم قد صرح في آية أخرى، بأنه لو قبلت معذرة الكفار وأرجعوا لكي يعيدوا الامتحان الإلهي، فإنهم سوف يرجعون إلى مسيرتهم السابقة من دون أن يتغيروا.

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) سورة الصافات: ١٦٤.

(٣) سورة مريم: ٦٤.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١].

❁ **قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾**

(س) ما سبب مجيء الآية المباركة؟

(ج) لمّا أمر الله (سبحانه وتعالى)المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾، أمرهم مرةً واحدة جازمة وبصورة كلية بأن يعدوا إلى الله (سبحانه وتعالى) عودة كاملة ناصحة تمنعهم من الرجوع إلى المعاصي، رجاء أن يستر الله سيئاتهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار[٢].

(س) ما هي التوبة النصوح؟

(ج) ١ ـ سأل أحمد بن هلال الإمام الهادي عليه السلام عن التوبة النصوح ما هي؟ فكتب عليه السلام: «أن يكون الباطن كالظاهر وأفضل من ذلك».

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «هو صوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة»[٣]، لأن العمل الصالح جزءٌ من التوبة والطريق الذي يؤدي إليه.

٣ ـ قال الإمام أبو الحسن عليه السلام: «يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود إليه»[٤].

٤ ـ قال النبي صلى الله عليه وآله: «أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود

---

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

(٢) الميزان: الآية.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر.

اللبن إلى الضرع»[١].

٥ ـ قيل هي التوبة الصادقة الناصحة التي تنصح صاحبها بترك العود إلى من تاب منه[٢].

٦ ـ وقال في الكشاف: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي وهو أن يتوبوا عن القبائح نادمين عليها غاية الندامة ولا يعودون[٣].

٧ ـ وقيل: التوبة النصوح ما يصرف صاحبه عن العود إلى المعصية. أو ما يحفظ العبد من الرجوع إلى المعصية بعد ما تاب[٤].

۞ قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾

(س) كيف يمحو الله (سبحانه وتعالى) سيئات الذي يتوب إليه توبةً نصوحاً؟

(ج) قال الإمام الصادق عليه السلام: «.. ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»[٥].

(س) لماذا بدأت الآية بـ﴿عَسَى﴾ وهي تفيد الترجيح ولم يقل جزماً: ﴿يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؟

---

(١) مجمع البيان: ج١ ص٣١٨.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٤٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الميزان: الآية.

(٥) المصدر.

(ج) عسى التي تفيد الترجي تشير إلى عدم القطع في النتيجة وذلك لكي لا يحدث في قلوب المؤمنين الاطمئنان بالمغفرة مما يدفعهم إلى الاغترار والكسل بدل السعي المستمر والعمل، حيث إن عدم ظهور النتيجة يدفع الإنسان إلى طلب المغفرة والتوبة بشكل مستمر وكذلك إلى المزيد من العمل الصالح[١].

۞ قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾.

(س) ما أهمية الحديث عن نعيم الآخرة؟

(ج) إن الحديث عن جنان الخلد وما أعدّه الله لعباده الصالحين فيها، عامل مهم يدعو الإنسان إلى الاستهانة بالنعم المادية الموجودة في هذه الحياة التي لا ينال الإنسان شيئاً منها إلا بفراق أخرى كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويدعوه أيضاً إلى التطلع إلى نعيم الله «عز وجل» الدائم الذي لا زوال له ولا اضمحلال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾

(س) ما هو المراد من الآية المباركة؟

(ج) إن «يوم» هو ظرف زمان للآية المتقدمة، فيكون المعنى عند النظر إلى الآية السابقة: توبوا إلى الله عسى أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم الجنة في يوم لا يخزي الله (تعالى) النبي صلى الله عليه وآله والذين آمنوا معه بجعلهم محرومين من

---

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٢) سورة القمر: ٥٥.

الكرامة والشفاعة وما وعدهم من الوعد الجميل[١].

قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «رضا جدي أن لا يدخل النار موحد».

❁ **قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾.**

(س) ما هو النور الذي يسعى بين أيديهم؟

(ج) قيل:

١ ـ إنه العمل الصالح والإيمان يظهر بصورة نور يوم القيامة.

٢ ـ إنه القرآن الذي مشى على هداه المؤمنون فهو يقودهم إلى الجنة، كما قادهم في الدنيا إلى الصلاح والسعادة.

٣ ـ إنهم أئمة الهدى عليهم السلام والقادة الصالحون يقودون المؤمنين إلى الجنة إلى جانب الملائكة، كما قادوهم في الدنيا إلى الحق والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً﴾[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أئمة المؤمنين نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوا منازلهم»[٣].

❁ **قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

(س) ما هي العلاقة الموجودة بين إتمام النور وبين مغفرة الذنوب؟

---

(١) الميزان: الآية (مع تصرف).

(٢) سورة الزمر: ٧٤.

(٣) من هدي القرآن: ج١٦ ص١١٦.

(ج) هناك علاقة طردية بين كمال الوعي والإيمان وبين مغفرة الذنوب فإن الذنوب ظلمات تحيل بين الإنسان والكمال، فإذا ما غفرت للعبد فإنه سوف يجد الطريق مفتوحاً له للرقي إلى الكمال والغايات العليا.

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) بعد أن أمر الله (سبحانه وتعالى) المؤمنين بوقاية النفس والأهل من النار والتوبة النصوح إليه والسعي إلى الكمال، أمر النبي ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين كضرورة مهمة لتهيئة الظروف والمناخ المناسب للوقاية والتوبة والكمال، إذ إن الكفار والمنافقين يبذلون قصارى جهودهم لأجل إيجاد الفساد والنقص في المجتمع، فلأجل تطهير المجتمع من المساوي فلابد من قلع أسبابه بشكل كامل ويتم ذلك من خلال مجاهدة الكفار والمنافقين[١].

(س) ما هي الصور الممكنة لمجاهدة الكفار والمنافقين؟

(ج) ١ ـ الجهاد ضد الكفار قد يكون مسلحاً أو غير مسلح، وذلك ببيان الحق وتبليغه فإن آمنوا وإلا فالحرب.

٢ ـ الجهاد ضد المنافقين يكون غير مسلح وذلك بتوبيخهم وإنذارهم وتحذيرهم بل وتهديدهم وفضحهم، أو تأليف قلوبهم واستمالتهم إلى الحق، فللجهاد معنى واسع يشمل جميع هذه الأمور[٢].

(س) هل يمكن شن الحرب على المنافقين؟

---

(١) المصدر السابق: (مع تصرف).

(٢) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٤٢٤.

(ج) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله لم يقاتل منافقاً قط وإنما يتألفهم»، والتعبير بـ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى معاملتهم بخشونة وفضحهم، ويبقى هذا التعامل معهم ما داموا لم يحملوا السلاح ضد الإسلام، أما إذا حملوا السلاح فيجب أن يقابلوا بالمثل لأنهم سيكونون من المحاربين[١].

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

(س) لماذا توجه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن بشكل عام؟

(ج) وذلك لأنه القائد الرسالي المسؤول عن المجتمع بشكل كامل، كالأب المسؤول عن نفسه وعن عياله، لذا لا بد أن يعمد إلى القضاء على بؤر الفساد والانحراف بجميع الصور والإمكانيات الموجودة[٢].

۞ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآيات لترسم للناس الخط الذي يبني قيمتهم وشخصيتهم، فتقول: إن قيمة كل إنسان بأعماله هو، صالحة كانت أو فاسدة بغض النظر عمن حوله من الصالحين أو الطالحين؛ وإن المؤمنين يصلون إلى السعادة والفلاح من خلال إخلاصهم وإيمانهم بالله ورسوله، بينما يجد الكفار الشقاء والهلاك بسبب خيانتهم لله ولرسوله وكفرهم بالحق ولو كانوا أقرب الناس إلى الأنبياء والصالحين.

---

(١) المصدر.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «قيمة المرء ما يحسنه» وعلى كل حال فإن الآية تبدد أحلام من يرتكبون المعاصي ويعتقدون بأن قرابتهم من أحد العظماء سوف تنجيهم من عذاب الله (سبحانه وتعالى)[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولم يقل: ضرب الله مثلاً للكافرات؟

(ج) وذلك لكي يكون المثل أو الخطاب للجميع سواء أكانوا رجالاً أم نساءً، بأنّ سبب نجاة أي إنسان هو إيمانه وعمله الصالح وليست الأمور الاعتبارية الأخرى، كما قالت اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجُنَّةَ إِلاّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ❖ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

(س) لماذا ذكرت السورةُ مثل الكفار أولاً؟

(ج) لعله لأجل الإشارة إلى أصل الموضوع الذي جاءت السورة لتأكيده وهو عدم الخضوع لضغوط الزوجات التي تحيل بين الإنسان ورسالته، وفيه تعريض شديد بزوجتي النبي صلى الله عليه وآله حيث خانتاه في إفشاء سرّه وتظاهرتا عليه وآذتاه بذلك[3].

(س) ما هو متعلق قوله ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ﴾؟

---

(١) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

(٢) سورة البقرة: ١١٢ ـ ١١١.

(٣) تفسير الميزان: الآية (مع تصرف).

(ج) ١ ـ إن كان متعلقاً بالمثل، فيكون المعنى: ضرب الله مثلاً يمثل به حال الذين كفروا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالعباد الصالحين.

٢ ـ وإن كان متعلقاً بضرب، فيكون المعنى: ضرب الله الامرأتين وما انتهت إليه حالهما مثلاً للذين كفروا ليعتبروا به ويعلموا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالصالحين من عباده وأنهم بخيانتهم للنبي ﷺ من أهل النار لا محالة[1].

(س) ما نوع الخيانة التي كانت تصدر من امرأة نوح ولوط عليهما السلام؟

(ج) قال ابن عباس: «كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس إنه مجنون، وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه»[2]. ولا تعني الخيانة هنا هو الخروج عن جادة العفّة والنجابة، لأنهما زوجتا نبيين ولا يمكن أن يصدر منهما هذا النوع من الخيانة، فقد جاء عن النبي ﷺ: «ما بغت امرأة نبي قط»[3].

(س) هل يمكن القول بأن المراد من الخيانة في الآية هي الخيانة الجنسية كما ذهب إلى ذلك الضال سلمان رشدي في كتابه «الآيات الشيطانية»؟

(ج) لا يمكن وذلك للأدلة التالية:

١ ـ إن الآيات السابقة إشارة إلى مسألة الخيانة في إفشاء السر من قبل زوجات النبي ﷺ وعندما تحدث القرآن عن زوجتي نوح ولوط، ضربهما مثلاً للجبهة المضادة للحق ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولم يضربهما مثلاً للزناة والفاسدين، ولهذا لا يمكن القول بأن الخيانة هنا خيانة جنسية.

---

(١) المصدر.

(٢) مجمع البيان: ج١٠ الآية.

(٣) تفسير الأمثل: الآية.

٢ ـ إن الزوجة الخائنة تسيء إلى كرامة وسمعة الزوج نفسه، فهنا إنّ نسب الخيانة الجنسية إلى زوجات الأنبياء سوف يُسيء إلى كرامة الأنبياء ويصور بيوتهم محلاً للفساد «والعياذ بالله»[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجُنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

(س) ما وجه ارتباط الآيات التالية بما تقدم؟

(ج) لا يخلو الأمر من أن يكون في ضرب هذين المثلين للمؤمنين نوع من التعريض بزوجتي النبي ﷺ والتقريع لهما حيث لم يهتديا بنور النبي ﷺ ولا بسيرته العطرة وهما إلى جنبه وهو سيد الكائنات والخلق أجمعين، في حين لم تعاشر آسية ولا مريم بنت عمران شخصاً كالنبي محمد ﷺ ولكنهما أصبحتا مثلاً وقدوةً في الإيمان والثبات لجميع المؤمنين والمؤمنات.

(س) من هي امرأة فرعون؟ ولماذا لم يصرّح القرآن الكريم باسمها الحقيقي؟

(ج) هي آسية بنت مزاحم كما روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[٢]، ولم يصرح القرآن باسمها لكي يتخذها المؤمنون من الرجال والنساء عبرةً وقدوةً لهم في حياتهم، حيث إنها بالرغم من معيشتها في محيط فاسد، دخل الإيمان قلبها وحافظت عليه ولم

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

(٢) الدر المنثور: ج٦ ص٢٤٦.

تتنازل عنه إلى آخر لحظات حياتها وتحملت لذلك الكثير من العناء والشقاء.

(س) ما هي قصة آسية عليها السلام ؟

(ج) عندما رأت آسية بنت مزاحم «امرأة فرعون» معجزة نبي الله موسى عليه السلام أمام السحرة آمنت به إيماناً كاملاً، وقد حاولت أن تكتم إيمانها فلم تتمكن فلما اطلع فرعون عليها، نهاها عن إيمانها مرات عديدة ولكنه لم يصل إلى نتيجة، فلما رأى عدم استسلامها له، أمر أن تثبت يداها ورجلاها بالمسامير، وتترك تحت أشعة الشمس الحارقة، وأن توضع فوق صدرها صخرة كبيرة، في تلك اللحظات الحاسمة أخذت تدعو ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالمِينَ﴾.

فاستجاب لها ربها وجعلها من أفضل نساء الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

(س) لماذا لم تكتم آسية عليها السلام إيمانها إلى آخر حياتها؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلا وظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه». إن حب الله ورسوله ليس بالأمر الهين الذي يمكن إخفاؤه في القلب، إذ إنه يظهر على سلوك الإنسان وحركاته، ولهذا لم تتمكن آسية أن تستر الذي في قلبها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى نبي الله يعقوب عليه السلام حيث إنه لم يستطع أن يكتم حب ولده يوسف في قلبه، لكي لا يطلّع إخوته على ذلك، فلذا فليس هناك أي تقصير من آسية وكذلك لم يقصر يعقوب عليه السلام في تعامله مع أولاده أبداً.

(س) لماذا قالت ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ﴾ ولم تقل: رب ابن

---

(١) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

لي بيتاً في الجنة؟

(ج) يظهر أن آسية عليها السلام أرادت أمرين في طلبها هذا، أرادت الكرامة المعنوية من خلال حضورها وقربها من الله عز وجل وتشير إليها كلمةُ ﴿عِنْدَكَ﴾، ومن ثم الاستقرار في الجنة وهو البعد المادي والصوري، جاء في الأخبار أنها كانت ترى قصورها في الجنة وهي موتّده يصب عليها ألوان العذاب.. فلهذا طلبت من الله عز وجل أن يكون البيت عنده قريباً منه كما ذكرت الآية المباركة.

(س) لماذا كانت آسية عليها السلام تطلب البيت ولم تطلب أمراً آخراً؟

(ج) قيل: إن هذه المرأة الطاهرة لم يحالفها الحظ في الحصول على الزوج الذي ترغب إليه، فطلبت من الله عز وجل أن يرزقها بيتاً وفيه ما يطيب للمرأة، ولا يطيب للمرأة الصالحة في البيت شيء إلا الزوج الكريم، ولعل السورة لم تشر لهذا الأمر حفاظاً على الأدب والعفة.

(س) من هو الزوج السعيد الذي سيحظى بالزواج من آسية في الجنة؟

(ج) روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه دخل على خديجة عليها السلام وهي في مرض الموت فقال لها: «بالرغم منا ما نرى يا خديجة، فإذا قدمت على ضرائرك «أي اللاتي هنّ أزواج الرسول كما خديجة فأقرئيهن السلام» فقالت: من هنّ يا رسول الله؟ فقال: «مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية بنت مزاحم»[1].

❁ **قال تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾**

(س) أليس النجاة من فرعون نجاة من عمله أيضاً؟ فلماذا قالت: ﴿وَعَمَلِهِ﴾؟

---

(١) من هدي القرآن: ج١٦ ص١٢١.

(ج) يهدينا قوله تعالى: ﴿وَعَمَلِهِ﴾ إلى فكرة هامة وهي أنه قد ينجو الإنسان بالهجرة من أيدي الظالمين، ولكن قد لا ينجو من أعمالهم ومخالفاتهم وسننهم السيئة، لذا ينبغي للمؤمن أن يطلب النجاة من الظلم ومن الظالمين[١].

❁ **قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾**

(س) لماذا تكرر ذكر طهارة مريم عليها السلام في القرآن الكريم.

(ج) لعل ذلك لمواجهة ما افتعله اليهود من البهتان عليها، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾[٢].

(س) ما المراد من قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾؟

(ج) إنه نوع من التصوير لأجل تقريب حالة تكوين الجنين في بطنها إلى الأذهان، وأما كيف حصل فلا يعلم به إلا الله عز وجل.

قال عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

❁ **قال تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾**

(س) ما هي الكلمات التي صدّقت بها مريم عليها السلام؟

(ج) لعل كلمات الله هي أنبياؤه كعيسى بن مريم عليهما السلام، وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام هم لسانه (تعالى) في خلقه، ينطقون بوحيه وكلماته.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ ولم يقل: وكانت من

---

(١) المصدر.

(٢) سورة النساء: ١٥٦.

القانتات؟

(ج) إن ﴿الْقَانِتِينَ﴾ تشمل الذكر والأنثى وهم القوم المطيعون لله عز وجل الخاضعون له دائماً، وإن وصفها بهذا الأمر أفضل من ﴿الْقَانِتَاتِ﴾ الذي يشير إلى الجنس المؤنث، بينما جعل الله سبحانه وتعالى مريم عليها السلام قدوةً لجميع المؤمنين من الرجال والنساء لقوله: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ.. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.

تم بفضل الله (سبحانه وتعالى) ومنّه بجوار عقيلة بني هاشم السيدة زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين ورحمة الله وبركاته..

علي الإبراهيمي

١/ ٦/ ٢٠٠٦ ميلادية

٤/ جمادى الأول/ ١٤٢٧هجرية

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٣.

(٢) سورة إبراهيم: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ١٢٨.

مصادر البحث

١ـ القرآن الكريم

٢ـ نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ـ تفسير الميزان: للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ره).

٤ـ التفسير الكبير: للفخر الرازي.

٥ـ تفسير الأمثل: مكارم الشيرازي.

٦ـ تفسير الفرقان: الشيخ محمد الصادقي.

٧ـ من هدي القرآن: للعلامة السيد محمد تقي المدرسي.

٨ـ تقريب القرآن: آية الله السيد محمد الشيرازي(قدس سره).

٩ـ التفسير المنير: الزحيلي.

١٠ـ مجمع البيان: للطبرسي.

١١ـ نور الثقلين: للحويزي.

١٢ـ الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي.

١٣ـ الكشاف: للزمخشري.

١٤ـ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.

١٥ـ تفسير القمي.

١٦ـ بحار الأنوار: المجلسي (قدس سره).

١٧ـ مفردات الراغب: للأصفهاني.

١٨ـ المنجد.

١٩ـ ميزان الحكمة: محمد الري شهري.

٢٠ـ الكافي: الكليني.

٢١ـ وسائل الشيعة: الحر العاملي.

٢٢ـ في ظلال القرآن: سيد قطب.

٢٣ـ مفاتيح الجنان: للشيخ عباس القمي.

٢٤ـ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني (قدس سره).

٢٥ـ شرح زيارة عاشوراء: لأبي الفضل الكلانتري.

٢٦ـ الاحتجاج: للطبرسي.

٢٧ـ ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق.

٢٨ـ تحف العقول: المجلسي.

الفهرس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ

ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

صدق الله العلي العظيم